"القيمة المتأصلة" لحقوق الحيوان فى فلسفة "توم ريجان"

بين مبدأى "الاحترام والإيذاء"ـ دراسة "تحليلية نقدية"

د.معتز أحمد أحمد ابراهيم أبو الخير*

motaz.aboelkair@man.edu.eg

ملخص

يعد "توم ريجان"(١٩٣٨م ـ ٢٠١٧م)Regan,Tom "أحد أهم فلاسفة الإيكولوجيا بما تحتويه من نظم ايكولوجية مختلفة كالحيوانات والنباتات...الخ. لكنه تفرد وذاع صيته فى الاهتمام بحقوق الحيوانات من خلال التأكيد على امتلاكهم "قيمة متأصلة" مثل الإنسان، مما يحتم عليه احترامهم وعدم إيذائهم باستغلالهم بما يحقق منفعته هو وفقط، فلا يجوز للإنسان ـ وفقًا لريجان ـ استغلال الحيوانات فى حاجاته ورغباته. ومن ذلك أتت دعوته إلى الإلغاء الكامل لكافة أشكال الاستغلال الحيوانى سواء التجارى أو الزراعى بما فى ذلك: استخدام الحيوانات فى الأبحاث العلمية.

لكن هل استمر "ريجان" منسجمًا مع مبادئه الأساسية فى نهاية مطافه الفلسفى وخاصة عندما يتم انتهاك الحقوق وفقًا لمبدأ الإيذاء أو الضرر؟

الكلمات المفتاحية: القيمة المتأصلة– حقوق الحيوان– توم ريجان

* مدرس بقسم الفلسفة ـ كلية الآداب ـ جامعة المنصورة

يقول "**ريجان**" عن الحيوانات المستخدمة فى التجارب العلمية:

"...**إن الحيوانات...لديها: إدراك، وذاكرة، ورغبة، واعتقاد، ووعى ذاتى، وإحساس بالمستقبل. إن هذه الصفات... تشكل الحياة العقلية المعقدة للحيوانات**".

وتؤكد "مارثا نسباوم (١٩٤٧ ـ ...) Nussbaum,Martha.C" ذلك قائلةً: " **أعتقد أننى يمكنني أن أعيش مع الحيوانات، فهى هادئة للغاية، وقادرة على الاحتواء... فهم لا يكذبون، ويبكون ويتألمون إذا أخطأوا، ولا يعرفون الخضوع أو الركوع للآخر**".

توم ريجان (١٩٣٨م ـ٢٠١٧م) Regan,Tom

محتويات البحث :

تمهيد ...

(أولاً): نقد"ريجان" لمواقف السابقين حول حقوق الحيوان.

(أ) لمحة تاريخية عن حقوق الحيوان: (الإنكار والإقرار).

(ب) نقد "ريجان" لآراء فلاسفة البيئة السابقين .

(ثانياً): "القيمة المتأصلة Inherent Value" بوصفها حلاً.

(أ) ماهية القيمة المتأصلة عند "ريجان" ومن يمتلكها؟

(ب) القيمة المتأصلة لدى الحيوان:(الحياة العقلية، ما فى مصلحتهم).

(جـ) نقد القيمة المتأصلة عند "ريجان".

(ثالثاً): "الحقوق الأساسية عند "ريجان"، لا يمكن انتهاكها.

(أ) أهمية الحقوق "ريجان". (ب) الحقوق الأساسية : "مبدأ الاحترام Respect".

(رابعاً): مبادىء انتهاك الحقوق عند"ريجان":(مبدأ الإيذاء).

(أ) مبدأ تجاهل الأدنى : "Minride Principle".

(ب) مبدأ أسوأ الحالات : "Worse-Off".

(جـ) مبدأ "الحرية" وإشكالية "قارب النجاة Life boat".

(د) مثال تطبيقى على استخدام المبادىء الثلاثة السابقة.

(خامسًا) : تقييم نقدى (ماله وما عليه).

الخاتمة ونتائج البحث.

تمهيد...

لما كان هدف "الأخلاق البيئية" متمثلاً فيما ينبغى أن يكون عليه السلوك الإنسانى فى تعامله مع بيئته من خلال الاستغلال الأمثل لمواردها والحفاظ عليها، فإنها تعد قيمة لا مناص منها.

ومن ثم يتمثل ذلك الهدف المنشود فى علاقة البشر بالطبيعة، تلك العلاقة التى تثير عديدًا من التساؤلات الشائكة التى يستعصى على الإنسان العادى حلها مثل: هل البشر هم الكائنات الوحيدة التى تمتلك قيمة متأصلة فى الكون الذى نعرفه، أم أن العالم الطبيعى المكون من نباتات وحيوانات وأقاليم حيوية له قيم متأصلة أيضا بل ومستقلة عن الإنسان؟. كذلك هل على البشر التزامات أخلاقية نحو نوعهم فحسب، أم نحو الحيوانات والنباتات ... أيضًا؟.

لاشك أن العديد من فلاسفة البيئة(*)لا سيما "توم ريجان(١٩٣٨م - ٢٠١٧م)Regan,Tom"(**)و"بيتر سنجر(١٩٤٦م - ...) Singer,Peter " - على سبيل المثال لا الحصر - قد انتهوا إلى أن للبيئة قيمًا مستقلة فى وجودها عن الإنسان. وبهذا تحولت نظرة الأخلاق الكلاسيكية الضيقة من دراسة الإنسان وسلوكه فقط، إلى دراسة الطبيعة ككل بما تتضمنه من حيوانات ونباتات...الخ. أى أن الأخلاق البيئية قد عملت على دحض العنصرية الإنسانية بمساوئها الفردية التى تدعو إلى الانحياز الدائم إلى النوع الانسانى، ودعت إلى المساواة بين الجميع إنسانًا كان أم حيوانًا.

ويعد "ريجان" واحدًا من أبرز الفلاسفة المهتمين بهذا الشأن، لاسيما الدفاع عن حقوق الحيوان من خلال التأكيد على امتلاكهم "قيمة متأصلة" مثل الإنسان،

مما يحتم على الإنسان احترامهم وعدم إيذائهم باستغلالهم بما يحقق منفعته هو وفقط، فلا يجوز للإنسان استغلال الحيوانات فى حاجاته ورغباته. وبهذا تختلف فلسفة "ريجان" المرتبطة بالحيوان عن غيره من الفلاسفة الآخرين والمهتمين بحقوق الحيوان أيضا من أمثال "سنجر" الذى دعا إلى تحرر الحيوان، ولكن فى النهاية أجاز استغلال الحيوان من أجل منفعة الإنسان ، مما يتسبب فى معاناة الحيوان. لهذا السبب حدد "ريجان" مبادىء أساسية تؤكد احترام حقوق الحيوان الأساسية، وفى الوقت نفسه وضع مبادىء تحدد متى يبدأ انتهاك تلك الحقوق.

وتكمن أهمية البحث فى كونه يعالج إحدى القضايا الشائكة والتى تثير مشكلات كثيرة ومثيرة للجدل، مثل كيف يتشابه الإنسان مع الحيوان؟، وما القيم المشتركة بينهما وكذلك الحقوق؟...الخ، فلا يوجد عند أى فيلسوف رأى صارم أو فكر قاطع يستطيع أن يُنهى مثل هذا النوع من الجدال.

أما عن أبرز تساؤلات البحث فهى كالتالى :

١. ما موقف "ريجان" من آراء السابقين عليه فيما يتعلق بحقوق الحيوان، وكيف اختلف عنهم؟

٢. ما مفهوم "ريجان" للقيمة المتأصلة؟،ومن يمتلكها؟، وما مدلول ذلك على الحيوانات؟

٣. ما طبيعة الحقوق الأساسية عند "ريجان" التى يتوجب احترامها، ولا يمكن انتهاكها؟

٤. ما المبررات التى وضعها "ريجان" لانتهاك الحقوق الأساسية؟

أما عن المنهج المستخدم في هذه الدراسة فهو : المنهج التحليلي النقدي الذي يظهر من خلال عرضنا أفكار "ريجان" المتعلقة بحقوق الحيوان والعمل علي تحليلها وبيان آرائه في هذا الصدد.

وبناءً على ذلك قسمنا البحث إلى أربعة موضوعات رئيسة:

الموضوع الأول؛ نقد "ريجان" لمواقف السابقين حول حقوق الحيوان:

نحاول فيه بيان الآراء المختلفة لفلاسفة البيئة حول قضية "حقوق الحيوان" ، مع مراعاة التمثيل لكل حقبة فلسفية ـ قديمة ووسيطة ومعاصرة . فضلا عن بيان موقف بعض الاتجاهات المعاصرة مثل: "المدرسة النفعية" من حقوق الحيوان، لا سيما عند "بيتر سنجر". ثم التطرق فى النهاية إلى عرض موقف "ريجان" من هذه الآراء المختلفة.

الموضوع الثانى؛"القيمة المتأصلة Inherent Value" عند "ريجان" بوصفها حلاً:

نحاول فيه بيان الأسس التى اعتمد عليها "ريجان" فى تأسيس رؤيته لحقوق الحيوان، وكان ذلك من خلال "القيمة المتأصلة". لذا أصبح لزامًا توضيح ماهيتها، فضلاً عن بيان الفئات التى تتضمنها هذه القيمة، إذ قسم الكائنات إلى: كائنات مسئولة أخلاقيًا، وكائنات غير مسئولة أخلاقيًا كما سيأتى بيانه. ثم تطرقنا بعد ذلك إلى التدليل على أن الحيوانات تحوى قيمًا متأصلة مثل الكائنات البشرية، لأنها تتمتع بنوع من الوعى وتحقيق ما فى مصلحتها.

الموضوع الثالث؛ "الحقوق الأساسية عند "ريجان"، لا يمكن انتهاكها: (مبدأ الاحترام)

لما كانت الحيوانات والكائنات البشرية يملكون "قيمة متأصلة"؛ إذ لديهم الحقوق نفسها. من هذا المنطلق نحاول بيان أهمية الحقوق عند "ريجان"، وفرقنا بين الحقوق المكتسبة وغير المكتسبة، ثم نتطرق إلى ماهية الحقوق الأساسية عند "ريجان" باعتبارها نوعًا من الحقوق غير المكتسبة مثل "العدالة" ومن ثم وجب احترامها وعدم انتهاكها ، ثم نقوم بتطبيق مفهوم "ريجان" للحقوق الأساسية على الحيوانات.

الموضوع الرابع؛ مبادىء انتهاك الحقوق عند "ريجان":(مبدأ الإيذاء).

نحاول فيه بيان كيف يمكن أن تتصارع الحقوق وخاصة إذا كانت ضد مصلحة الإنسان، ومن ثم يتم انتهاكها بصورة مبررة من خلال "مبدأ الايذاء". لذلك وضع "ريجان" مجموعة من المبادىء الأساسية التى تجعل ذلك الانتهاء مبررًا مثل:"مبدأ تجاهل الأدنى Minride Principle" ، و"مبدأ أسوأ الحالات Worse off"، و"مبدأ الحرية". وبعد ذلك قمنا بعمل تقييم نقدى لأفكار "ريجان".

<u>أما عن الصعوبات التى واجهت الدراسة</u> : يمكن اجمالها فى الآتى:

١. صعوبة ترجمة بعض المصطلحات التى استخدمها "ريجان" إلى العربية، فما يقصده "ريجان" من خلال تلك المصطلحات يختلف عن الترجمة الحرفية لها. فعلى سبيل المثال مصطلح "Moral Patient" يمكن ترجمته حرفيًا بـ "المرضى الأخلاقيين". لكن ما يقصده بذلك المصطلح تلك "الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا" مثل الحيوانات، والأطفال الصغار الأقل من عامين ...الخ. ومن ثم

سنحاول توحيد المصطلح على مدار البحث من خلال ما يقصده " ريجان ". أى بالكائنات غير المسئولة أخلاقيًا. كذلك مصطلح "Welfare" يمكن ترجمته حرفيًا بـ"الرفاهية"، ولكن ما يقصده "ريجان" بهذا المصطلح "ما فى مصلحة الحيوان فقط" وليس ما يزيد عن تلك المصلحة. وهذا ما سنحاول ايضاحه.

كذلك مصطلح "Individual" تترجم فرد أو فردى، ولكنه يخلط فى تطبيق المصطلح، فتارة يطلقه على الإنسان وتارةً أخرى على الحيوان.

٢. دائمًا ما يستخدم "ريجان" بعض الأمثلة التى من خلالها يبرر فكرة انتهاك الحقوق . تلك الأمثلة التى فى ظاهرها قد تبدو منطقية ، مما يخدع بعض القراء للوهلة الأولى ويجعله يتفق مع فكرته. إلا أن هذه الأمثلة من الصعب بمكان تطبيقها على أرض الواقع، مما يهدد فكرته عن انتهاك الحقوق من الأساس.

وبصفة عامة؛ يمكن القول إن "توم ريجان" قد أخطأ عندما حاول الاستدلال من الحالات الجزئية على ما هو عام ، وهذا يعد خطأ منطقى وقع فيه. يظهر ذلك أثناء عرضنا لفكرة انتهاك الحقوق الأساسية.

٣.ندرة بعض المصادر والمراجع العربية التى تناولت فلسفة "ريجان" اللهم إلا مقالته المترجمة إلى العربية والمنشورة فى كتاب: مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية، ترجمة معين شفيق، عالم المعرفة، العدد٣٣٢، الكويت ، ٢٠٠٦م. والتى يتحدث فيها عن حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان أثناء التعامل معهم.

(أولاً): نقد "ريجان" لمواقف السابقين حول حقوق الحيوان:

(أ) لمحة تاريخية عن حقوق الحيوان: (الإنكار والإقرار).

لقد تباينت آراء الفلاسفة- القدماء والمحدثين والمعاصرين - حول قضية "حقوق الحيوان" بين الإنكار تارة والإقرار تارةً أخرى، مما يعنى وجود اتجاهين فى تلك القضية، **الأول:** ينكر وجود أية حقوق للحيوانات، بل يعدها مُسخَّرةً لخدمة أغراض الإنسان، ويعد هذا الاتجاه عُنصرى الطابع نظرًا لتحيزه إلى الإنسان فقط. **والثانى:** ينسب وجود حقوق لها مثل أى كائن بشرى أخر، ويعد هذا الاتجاه أكثر عدالةً.

فها هو "أرسطو(٣٨٤ق.م - ٣٢٢ق.م) Aristotle" قد دفع بأن الحيوانات - رغم افتقارها إلى "العقل" - تمتلك إدراكًا حسيًا، وأنها أقل من البشر فى المرتبة الطبيعية، ومن ثم تُمثِّل موارد تُلائم الأغراض الإنسانية.(١)

تلك الرؤية المنبثقة من رؤيته الكلاسيكية حول الطبيعة التى يعدها طبقية متدرجة، وأن من هم بقدرات عقلية أقل يعيشون إكرامًا لمن هم بقدرات عقلية أكبر، وفكرة التسلسل الطبقى لدى أرسطو مؤداها: بأنه توجد النباتات من أجل الحيوانات، توجد الحيوانات الوحشية من أجل الحيوانات المستأنسة والمستخدمة للطعام والاستخدام الآدمى ، وتستخدم الحيوانات من أجل رفاهية الإنسان ، وبما أن الطبيعة لا تجعل شيئًا دون هدف، فإنها بلا شك جعلت الحيوانات من أجل الإنسان.(٢) وبالتالى لم يقر بحقوقها(*).

وعلى غرار حجة "أرسطو" للحيوانات سار الكتاب المقدس، وفلاسفة العصور الوسطى أيضا: "**فالتعاليم المسيحية(**)** تؤمن أن البشر يمتلكون حق السيطرة على الحيوانات، وأن الله قد أعطاهم الحق فى الاستفادة منهم، وذلك لأن**

الحيوانات مخلوقات ذات منزلة أقل، وأنه إذا تعارضت مصالحنا مع مصالح الحيوانات، تُعطى الأولوية لمصالحنا، كما اعتقدوا أن الإنسان خُلق على صورة الله، وترك له الهيمنة على سمك البحر، والطير، والماشية، وعلى كل الأرض وما عليها يعمرون الأرض"[٣].

وهذا ما دفع بالقديس "أوغسطين(٣٥٤م - ٤٦٠م) "و"توما الأكوينى(١٢٧٤م - ١٢٢٥م) Tommaso d'Aquino" إلى الزعم بأن افتقار الحيوانات إلى العقل يبرر وقوعها فى مرتبة أدنى من البشر. [٤]

كذلك شددت "اليهودية" فى تراثها الأقدم أكثر مما شددت المسيحية على ضرورة تقليل الألم الواقع على الحيوانات؛ فاستنادًا إلى الفكرة القائلة إن مخلوقات الله جميعها تستحق الرحمة ، تتجلى هذه الفكرة فى التعاليم اليهودية المتعلقة بذبح الحيوانات بغرض الغذاء، وفى لعن الصيد من أجل المتعة فقط ...الخ.

ويقول الكتاب المقدس فى ذلك : " **إن الله يبغض محب العنف** " **(مزمور ٥: ١١)**. وفى الوقت نفسه يتفق "الإسلام" ثالث الأديان الإبراهيمية على أن البشر يتمتعون بأهمية فريدة ، وأن الحيوانات مخلوقة للاستخدام الآدمى، إلا أن القرآن والسنة ينهى عن ممارسة القسوة ضد الحيوانات. [٥]فعن أبى "هريرة" يقول "النبى صلى الله عليه وسلم" : "**إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر؛ فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتُبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وجعل لكم الأرض ، فعليها فاقضوا حاجاتكم.**"

هذا على النقيض من " فيثاغورس (ق.م٥٧٠-٤٩٥ق.م)Pythagoras " الذى رأى أن الحيوانات ليست سوى بشر سابقين حلُّوا فى أجساد أخر،

و"ثيوفراستس(٣٧١ق.م -٢٨٧ق.م) Theophrastus" الذى كان يعتقد فى قدرة الحيوانات على التفكير إلى درجة ما. (٦)

بينما تكشف الفلسفة الحديثة وخاصة "ديكارت(١٥٩٦م - ١٦٥٠م) Descartes," عن اختلافات شائقة بين فلاسفتها، فلقد دعمت الرؤية القائلة بتفوق البشر أيضا، من خلال تكوين مفهوم عن الطبيعة باستخدام مصطلحات ميكانيكية خالصة، حيث حلَّ العلم الحديث محل الرؤية الأرسطية السائدة للطبيعة باعتبارها تتمتع بأغراض محددة، وتشبه إلى حد ما كائنًا حيًا .

إزاء هذه الخلفية وجد "ديكارت" أن من الطبيعى النظر إلى الحيوانات - التى هى جزء من الطبيعة- باعتبارها آلات عضوية لا تخلو من العقل فحسب بل من المشاعر أيضا.(٧)هذا ما لاقى اعتراضًا عند "هوبز(١٥٨٨م -١٦٧٩م)"، و"لوك(١٦٣٢م -١٧٠٤م)"و"كانط(١٧٢٤م - ١٨٠٤م)" بتوافر الإدراك والمشاعر عند الحيوانات، فيما أنكروا وجود خاصية ما- مثل العقل أو القدرة على استيعاب المفاهيم العامة - قيل إنها ضرورية لتبوء مكانة أدبية مهمة.(٨)

ويمثل الإسهام الأكبر فى فهمنا للحيوانات فى أعمال "تشارلز داروين(١٨٠٩م - ١٨٨٢م) Darwin, Charles" فى القرن التاسع عشر، الذى بيّن أن البشر تطوروا من سلالات حيوانية أخرى(٩) ، " **وأن الحيوانات الدنيا تشعر بشكل واضح مثل الإنسان بالسرور، والألم، والسعادة، والتعاسة**".(١٠)لذلك يرى "داروين": "**ليس هناك اختلاف جوهرى واضح بين الإنسان والثدييات العليا**".(١١)

تلك الأفكار"الدارونية" التى شكلت الرؤى المعاصرة للحيوانات، وخاصة عند دعاة تحرر الحيوان لعل من بينهم "بيتر سنجر" الذى أقام حجته المتعلقة بدراسة أخلاقيات الحيوانات من منظور نفعىUtilitarianis (*)صرف، حيث إن اللذة

دون سواها خير والألم شر، ويكون الحكم على الأفعال سواء كانت خيرًا أم شرًا بالنظر إلى نتائجها فقط ، ولهذا فنحن ملزمين بتقليل المعاناة قدر الإمكان عند كل من يتعرض لهذا الألم بما فيهم الحيوان، ويدل ما دون ذلك على العنصرية، ويؤكد ذلك قائلاً:

" **فلعل الألم الذى ننزله بالحيوانات عندما تكون حية مؤشرًا على تحيزنا النوعى ... فلكى نحصل على اللحم على الطاولة بسعر يمكن للناس دفعه، أجاز مجتمعنا طرائق لإنتاج اللحم تحجز الحيوانات الحساسة فى شروط عسيرة غير مناسبة طوال مدة حياتها، تعامل الحيوانات كأنها آلات تحول العلف إلى لحم، وأى ابتكار يؤدى إلى معدلات تحويل أعلى، يكون قابلاً للإقرار به...وهكذا يتم حشد الدجاج رباعًا وخماسًا فى قفص ذى أرضية أبعادها عشرون إنشًا مقابل ثمانية عشر إنشًا...مع أن هذا يجعل من الدجاج أن يرقد على نحو غير مريح، كما لا تستطيع بسط جناحيها بشكل كامل**"[١٢] .

من هذا المنطلق دافع "سنجر" عن فكرة "تحرر الحيوانات"، ورأى أن المعيار الملائم الدافع لتلك الفكرة هو "الإحساسSentience"، فكل الحيوانات البشرية وغير البشرية مشتركون فى هذا الإحساس، لذلك صاغ مبدأ "الاهتمامات ذات الاعتبار المتساوى"[*] والذى ينص على أننا:

" **نعطى ثقلاً متساويًا لرؤيتنا الأخلاقية المتعلقة بكل الاهتمامات المتشابهة، والخاصة بأولئك الذين يتأثرون بأفعالنا**".[١٣]

وهذا يعنى أن كل الكائنات سواء بشرية أم غير ذلك طالما أنها خاضعة لهذا المعيار متساوية فى الاهتمامات. وينبغى أن نتعامل مع اهتمامات كل كائن حساس بشكل متكافىء، حيث ليس هناك مبرر أخلاقيًا يدفعنا إلى التعامل عكس

ذلك. أما فكرة التمييز بين الاهتمامات الإنسانية عن مصالح الحيوانات ـ مثلما ذكرنا سابقًا ـ يؤدى إلى"عنصرية نوعيه Speciesism" أى التحيز إلى نوعٍ بعينه دون الآخر ويقول:

"**ينتهك أتباع التفرقة العنصرية Racists مبدأ المساواة من خلال إعطاء ثقل أكبر للاهتمامات الخاصة بالأفراد المنتمين إليهم فقط، وذلك فى حالة الصراع بين مصالحهم والاهتمامات الخاصة بعنصر آخر....فالمتحيزون إلى نوعهم ومن ينتمى إليهم يسمحون بالتغلب على الاهتمامات الأعلى الخاصة بأعضاء نوع آخر**".(١٤)

إذًا يمكن القول إن "سنجر" أقام رؤيته تجاه حقوق الحيوانات على أساسين راسخين:

ـ **الأول:** " نفعى" أى تجنب الألم والمعاناة تحقيقًا للسعادة لأكبر عدد من الأفراد.

ـ **الثانى:**"المساواة" أى المساواة فى الحقوق بين الكائنات البشرية وغير البشرية (أى الحيوانات).

وبناءً عليه نادى "سنجر" بوقف كافة أشكال استخدام الحيوانات سواء أكان هذا الاستخدام بغرض الغذاء أم بغرض إجراء أبحاث طبية تجريبية لخدمة الإنسان.(١٥) ولكن من دواعى المفارقة إعلاءً لشأن النفعية أعطى "سنجر" مبررًا واحدًا لإمكانية التجريب على الحيوانات، وهو مبرر "نفعى" يريد من خلاله أن يضع معايير وحدود على التجريب الحيوانى، مؤداه حصيلة المنافع من التجريب على الحيوانات أكبر من الخسارة التى تتمثل فى المعاناة التى سيشعر بها

الحيوان فيكون التجريب فى هذه الحالة مبررًا ، عدا ذلك يصبح تصرفًا لا أخلاقيًا ويقول فى هذا الصدد:

"**إذا كان إجراء التجارب على عدد معين من الحيوانات سيساعد على معالجة عشرات الآلاف من البشر من مرض ما، فإن ذلك يعد مبررًا كافيًا للتجريب، أما إذا كان الاهتمام بالحيوانات لمجرد أنها ليست من نوعنا، فإنه لا يعد تبريرًا للاهتمام بها**".(١٦)

من خلال تلك اللمحة التاريخية السريعة نلحظ وجود تباين شديد بين آراء الفلاسفة تجاه الحيوانات، إلا أن الاتجاه الغالب قديمًا هو السماح باستغلال الحيوانات واستخدامها من أجل حاجات الإنسان. وحديثًا بالرغم من اعتراف البعض مثل "سنجر" بحقوق الحيوانات، إلا أنه عاود الرجوع إلى الرؤية القديمة وهى استغلال الحيوانات واستخدامها مرةً أخرى عند حدوث تعارض بين حقوقها مع حقوق أعلى منتهكًا حقوقها الأساسية، فتلك الرؤية بمثابة عودُ على بدء. وهذا ما لا يرضى عنه "توم ريجان".

(ب) نقد "ريجان" لآراء فلاسفة البيئة السابقين:

يرى "ريجان" أن أراء الفلاسفة السابقين كانت أكثر تحيزًا لنوع معين على حساب نوع أخر، حتى إذا كانت تنطلق من منطلق الذود عن حقوق الحيوانات، إلا أنه عندما تتعارض تلك الحقوق مع حقوق أخرى ـ كما فى حالة "سنجر" ـ يتم الإعلاء من شأن المنفعة على حساب حقوق الحيوان.

لذلك يرى "ريجان" أن هذه الآراء تُبرهن على فكرة العبث الأخلاقى القائم على استبعاد " الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا Moral Patient "من نظرياتهم الأخلاقية المباشرة (١٧)، وتهتم بالكائنات المسئولة أخلاقيًا فقط . فهو يفضل

تأسيس نظرية أخلاقية تحظى فيها جميع الكائنات الأخلاقية ـ سواء كانوا كائنات مسئولة أخلاقيًا أم كائنات غير مسئولة أخلاقيًا- بحقوق عادلة لا تنبع فى الوقت نفسه من أسباب نفعية أو عواقبية، بحيث تكون الأفعال خاطئة إذا كانت تنتهك حقوق تلك الكائنات بشكل مباشر وليس لنتيجتها فقط.(١٨)

إن "**الكائنات المسئولة أخلاقيًا Moral Agent**"هم الأفراد المسئولين أخلاقيًا، أى من لديهم قدرات عقلية مركبة تمكنهم من التصرف وفقًا لمبادىء أخلاقية تحدد المسار الملائم للفعل ، وعادة ما يكونون بشرًا طبيعيين كاملى الأهلية .أما "**الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا**": فهم الذين ينبغى إدراجهم فى المجتمع الأخلاقى ، ولكنهم يفتقرون إلى الشعور بالمسئولية الأخلاقية، وهم إما حيوانات أو أطفالاً أو بشرًا بالغين غير كاملى الأهلية، أى ليس لديهم ما يؤهلهم حتى يصيروا أفرادًا أخلاقيين.(١٩) كما أن هناك علاقة غير متبادلة بينهما: فبينما لدى الكائنات المسئولة أخلاقيًا واجبات نحو الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا، إلا أننا نجد أن الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا لا يمكن أن يتصرفوا بشكل خاطىء أو بشكل صحيح تجاه الكائنات المسئولة أخلاقيًا. (٢٠)

وبتطبيق ذلك على آراء فلاسفة البيئة السابقين لوجدناهم أكثر تحيزًا للنوع الأول أى الكائنات المسئولة أخلاقيًا دون الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا، ويدلل "ريجان" على صحة ادعائه بالتساؤل التالى:

"**لماذا نعدُ أفعالاً مثل ركل الكلاب وإشعال النيران فى أذيال القطط وتعذيب القوارض والببغاوات أفعالاً خاطئة؟**"(٢١).فيجيب كثير من الفلاسفة لا سيما "توما الأكوينى" و"امانويل كانط" بأن الناس الذين يعاملون الحيوانات بهذه الأساليب تنشأ لديهم عادة تميل بهم مع الزمن إلى معاملة البشر على نحو مشابه. فالناس

الذين يعذبون الحيوانات سوف يعذبون الناس أيضا.[٢٢] فهم بذلك ينحازون إلى الكائنات المسئولة أخلاقيًا على حساب الكائنات غير المسئولة.

كذلك "جون لوك(١٦٣٢م ـ ١٧٠٤م)Locke,J" ينحاز إلى الكائنات المسئولة أخلاقيًا فى إجابته عن هذا التساؤل، ويورد "ريجان" حجة "لوك" قائلاً:

"**أحد الأشياء التى لا حظتها مرارًا لدى الأطفال أنهم عندما يقع فى متناولهم أى حيوان مسكين، يميلون لمعاملته بفظاظة: وغالبًا ما يعذبون ويعاملون بخشونة الطيور الصغيرة، والفراشات، والحيوانات المسكينة الأخرى المماثلة التى تقع بين أيديهم، وكل ذلك يتم بضرب واضح من اللذة... فإذا انحدروا إلى فعل قاسٍ يجب تعليمهم المعاملة المعاكسة؛ لأن الاعتياد على تعذيب وقتل البهائم سوف يؤثر سلبيًا فى نواياهم حتى حيال البشر؛ وأولئك الذين يبتهجون بمعاناة وإبادة المخلوقات الأقل شأنًا، لن يكونوا ميالين إلى الشفقة أو اللطف مع أفراد جنسهم**".[٢٣]

وليس "رأى كانط" أيضا بمأمن من ذلك النقد، فقد سلم "كانط" بأن الكائنات المسئولة أخلاقيًا فقط أو الكائنات العقلانية وحدها هى التى تعد غايات أخلاقية فى حد ذاتها، فكان يرى أن البشر لديهم قيمة جوهرية نظرًا لقدرتهم على التفكير على غرار الحيوانات التى تفتقر للعقلانية وفقًا لكانط، فهى تعد مجرد أشياء ذات قيمة نسبية، وأن أى واجبات نلتزم بها تجاههم هى واجبات غير مباشرة.[٢٤] وهذا ما يأخذه الباحث على كانط.

فكانط بهذا الشكل يجعل ما دون الكائنات المسئولة أخلاقيًا فى مرتبة أدنى، بل يتمادى فى وضع نوع من الواجب غير المباشر أو الإلزام غير المباشر

تجاهم. مما يؤكد اتهام "ريجان" لجميع آراء الفلاسفة السابقين عليه بالتحيز النوعى.

كذلك "النفعية" والتى كانت أساسًا أقام عليه "بيتر سنجر" حجته دفاعًا عن الحيوانات، إلا أن "ريجان" لم يرض عنها، حيث أنها تعبر عن التحيز فى النهاية. فهو يقول إن النفعية قائمة على مبدأين أساسين :

"**الأول: المساواة، ويعلن هذا المبدأ أن رغبات الأفراد المختلفين وحاجاتهم وآمالهم...الخ عندما تكون متساوية الأهمية عند هؤلاء الأفراد ... أميرًا أو فقيرًا، عبقريًا أو غبيًا....الخ فهى تزودنا فى ضوء هذا المبدأ بأساس فلسفى لتجنب الأشكال الصارخة فى التحيز... أما المبدأ الثانى فهو المنفعة ذاتها، حيث يجب علينا التصرف وفقًا لرجحان الخير على الشر مثلاً**".(٢٥)

إلا أن "ريجان" رأى أن هذين المبدأين يعتمدان بشكل أساسى على فكرة "الحسابات النفعية"، بمعنى أن "العملية الحسابية" هى الأساس وهى جوهر النفعية، فمثلا يمكننا تخيل تقليل معاناة "بقرة" ما إذا أصيبت بمكروه ما من منطلق الحفاظ على حقوقها، لكن فى الوقت نفسه يكون من المقبول أخلاقيًا قتل البقرة بغرض الغذاء، وخاصة إذا كان هناك عدد كبير من الأفراد يريد تناول قطع من اللحم.

تثير هذه "الحسابات النفعية" أول الاتهامات الموجهة للنفعية من حيث وقوعها فى خطر "المفارقة" وكذلك التحيز، وهذا ما عبر عنه "ريجان قائلاً:

"**من وجهة نظر الحقوق لا يمكننا أن نبرر إيذاء فأر واحد قياسًا بتعدد المنافع الإنسانية التى يجنيها البشر من جراء ارتكاب هذا الفعل**".(٢٦) أى لا

يمكننا الدفاع عن حقوق الحيوان وفى الوقت نفسه ننتهك تلك الحقوق من أجل الإنسان.

أما عن ثانى الاتهامات الموجهة للنفعية هو أنها قد أخفقت فى تبرير واجبنا البديهى فى عدم إيذاء أى فرد واحترام حقوقه. وهذا ما أكده مثال عملية "القتل السرى Secret Killing" والذى تبرره النفعية قياسًا بالنتائج النفعية التى قد يغتنمها الأفراد جراء هذا الفعل دون النظر إلى الأسباب أو طريقة التنفيذ الفعل. (٢٧)

هذه الاتهامات قد وجهها "ريجان" بشكل مباشر إلى "سنجر" وخاصة فى تعامله مع الحيوانات، والتى ظهرت على نحو متفاوت ، فتارة يقر بعدم استخدامها وتارة ينكر ذلك الاستخدام لصالح المنفعة، أى أن رؤيته تجاه الحيوانات قد شابها التردد والتفاوت ويقول:

" **(أولاً): لا يبين "سنجر" كيف أن التعامل على نحو متفاوت مع الحيوانات يناقض الهدف النفعى المتمثل فى الحصول على أكبر أرجحية ممكنة للخير على الشر، فلكى يوضح ذلك ينبغى عليه أن يقدم وصفًا مفصلاً وموسعًا، ليس فقط لكيفية معاملة الحيوانات، بل تحليلاً شاملاً لما هى العواقب على كل فرد معنىُ بذلك. فيجب عليه أن يبحث كيف أن اقتصاد العالم يعتمد على مستوى الانتاج فى الصناعة الحيوانية، وكيف أن كثيرًا من الأحياء معنيون بشكل مباشر أو غير مباشر بالحفاظ على هذه الصناعة... (ثانيًا):يحتاج "سينجر" إلى بناء قضية قوية تتبنى الرأى القائل إن عدم تربية الحيوانات فى ظروف قاسية أو عدم استغلالهم فى البحوث يؤدى إلى عواقب أفضل... من تلك التى تنجم حاليًا عن التعامل مع الحيوانات بهذه الأساليب ، ويحتاج "سينجر" إلى**

إيضاح أن العواقب الأفضل يمكن أن تحدث على الأقل. لكن لا يكفى مجرد إيضاح أن من المتصوّر أو المحتمل أن يحدث ذلك".(٢٨)

يبدو مما سبق أن المذهب النفعى بشكل عام

"**...هو أكثر النظريات المتاحة إنصافًا وأقلها تحيزًا. إذ ينظر بعين الاعتبار إلى مصالح الجميع، وليس ثمة اعتبار أكبر أو أقل لمصالح أحد مقارنة بآخر. لكن المشكلة تكمن فى عدم وجود رابط ضرورى ولا انسجام مؤسسى مسبقًا بين احترام مبدأ المساواة فى المصالح، وتشجيع الهدف النفعى المتمثل فى الحصول على أكبر أرجحية للخير على الشر**".(٢٩)

وصفوة القول؛ يكمن اعتراض "ريجان حول الآراء السابقة بما فيها "النفعية" فى تناولها جميع الكائنات المسئولة وغير المسئولة أخلاقيًا على أنهم وسائل وغايات فقط، وهذا على النقيض من طبيعتهم، إذ أنهم يملكون "قيمة متأصلة Inherent Value" تُحتم علينا احترامهم، ويؤكد ذلك قائلاً:

" **إن كل الكائنات المسئولة وغير المسئولة أخلاقيًا ينبغى الاعتراف بملكياتهم لقيمة متأصلة بشكل مماثل...فالحق الأخلاقى يمنع معاملتهم على أنهم مجرد "متلقين Receptacles" على أن دورهم يقتصر على استقبال القيم الجوهرية، وذلك لأن هذه الرؤية قد تسمح بإيذاء البعض منهم (من خلال التسبب فى معاناتهم) بالنظر إلى النتيجة الإجمالية لذلك**".(٣٠)

ف"القيمة المتأصلة" هى جوهر الاختلاف بين "ريجان" والآخرين من الفلاسفة وبناءً عليه: " **فإنه يعد أى ممارسة، أو مؤسسة، أو مشروع، وما شابه غير عادلاً ، وخاصة إذا كان يسمح بمعاملة الأفراد ذوى القيمة المتأصلة كأنهم موارد متجددة ...يمكن استبدالها بالآخرين** ".(٣١)

(ثانياً):"القيمة المتأصلة Inherent Value" بوصفها حلاً:

(أ) ماهية القيمة المتأصلة عند "ريجان" ومن يمتلكها؟

يمكننا ملاحظة ـ من خلال نقد "ريجان" السابق ـ معارضته لأى فكرة تهدف إلى تفضيل كائن على حساب كائن آخر. فهو يؤمن بالتساوى بين جميع الأفراد حيث تتوفر لديهم "**قيمة متأصلة أو قيمة فى حد ذاتها**".(٣٢) أى أنها بعيدًا عن أى منفعة أو أى وسيلة لشىء آخر، ويصف تلك القيمة قائلاً:

"**إن لكل كائن بشرى قيمة مستقلة منطقيًا عن كونه ذا قيمة لأى شخص آخر (أو بمعنى موزاى، مستقلة عن كونه موضع مصلحة أى شىء آخر).فالنظرة القائلة إن الكائنات البشرية تمتلك قيمة متأصلة...توحى بأن ذلك النوع من القيمة...ليس نوعًا أداتيًا...إن قيمتهم متميزة عن أى منفعة**".(٣٣)

وهو بذلك يتشابه مع الفيلسوف "بول تايلور(١٩٢٣م ـ ٢٠١٥م) Taylor, Paul W"(*) فى وصفه للقيمة المتأصلة، حيث إن القيمة المتأصلة للكائنات الحية توجد بشكل مستقل عن تقييم الإنسان لها، ولذلك تسعى إلى تحقيق مصلحتها وخيرها الخاص ويؤكد ذلك قائلاً:

"**إنها استحقاق يتمتع به الكائن الحى دون اعتبار لأى وسيلة، ودون الرجوع لخيرية أى موجود**".(٣٤)

وباختصار؛ يقر "ريجان" أن القيمة المتأصلة:

"**تعد على غرار فكرة كانط التى تشير إلى أن الأفراد موجودون كغاية فى حد ذاتهم**"(٣٥)؛ إلا أن الفارق بينه وبين "كانط" يكمن فى أن "كانط" يرى الكائنات المسئولة أخلاقيًا فقط أو الكائنات العقلانية هى التى تعد غاية فى حد ذاتها، فالبشر وحدهم لديهم قيمة جوهرية نظرًا لقدرتهم على التفكير، وحيث إن

الحيوانات وفقًا لـ "كانط" تفتقر إلى العقلانية وذلك كما أشار "ريجان"، فهى تعد مجرد أشياء ذات قيمة نسبية، وأن أى واجبات نلتزم بها تجاههم هى واجبات غير مباشرة.(٣٦)

بينما يقر "ريجان" أن كل الكائنات الحية ـ سواء كائنات مسئولة أم غير مسئولة أخلاقيًا ـ هم غايات فى حد ذاتها Ends of Themselves. (٣٧)

ولتوضيح ما يعنيه "ريجان" بما سبق؛ فالزعم مثلاً بأن "كلبًا" ما أو إنسانًا يحظى بمكانة ما، فإنه يحظى بها بسبب ماله من أهمية فى ذاته، وليس فى علاقته بالبشر. وبصورة أكثر دقة أن مصالح ورفاهية الكائنات تعد قضية مهمة ويجب النظر إليها بعين الجدية بعيدًا عن مدى تأثير ذلك فى البشر.(٣٨)

لذا فإن امتلاك القيمة المتأصلة هو امتلاك لقيمة نوعية أكثر من مجرد الحصول على قيمة جوهرية بشكل تجريبى. إن من يمتلكون قيمة متأصلة:"...**لديهم قيمة فى حد ذاتها، قيمة مختلفة وغير متساوية مع القيم الناشئة عن التجربة التى قد يملكونها أو يمرون بها ـ مثل قيمة السعادة والسرور ـ كأفراد متلقيين لهذه التجارب، بل ولا يمكن ردها إلى تلك القيم**".(٣٩)

فما له قيمة فى حد ذاته يجب أن يعامل دائمًا كغاية، وليس أبدًا كمجرد وسيلة. ولكن هذا بالضبط ما نقوم به عندما نؤذى فردًا؛ أى نعامله كمجرد وسيلة تتحدد قيمتها بمقدار اسهامه فى المصلحة الجماعية. (٤٠)

ومن هذا التصور يتضح جوهر الاختلاف بين "ريجان" و"النفعية" أيضا التى تتعامل مع الأفراد وكأنهم مجرد متلقيين للقيمة، بدلا من التعامل معهم مباشرةً كأفراد يملكون تلك القيمة. فالقيمة المتأصلة عند "ريجان" عبارة عن مفهوم قاطع وصريح يدفعنا إلى النظر إلى الأفراد على أنهم لديهم قيمًا متأصلة على نحو

متساوٍ ،[٤١] غير متمايز. ويعد هذا النوع من المساواة أفضل مما تنادى به "النفعية" ـ التى تنظر إلى نتائج الأفعال التى تحقق خيرًا أكبر على حساب الألم ؛ وذلك لأن التسليم بالقيمة المتأصلة يجبرنا على النظر إلى قيمة الفرد مباشرة لتحديد ما هو عادل وغير عادل، وليس مجرد متلقٍ للقيمة.[٤٢] مما يسمح بتجنب النتائج السلبية للنفعية التى قد تنتج من "القتل السرى" عند النظر إلى نتائج الفعل الذى قد يعم بالخير على فئة ما دون سواها. [٤٣]

فالقيمة المتأصلة إذًا بعيدة عن التمييز بين الأفراد الذى نادت به "الكانطية" أو "النفعية" على سبيل المثال...الخ. فهى إما أن تكون موجودة أو غير موجودة بشكل قاطع وواضح. ويعتقد "ريجان" أن الموجودات التى تتوفر لديها هذه القيمة يُطلق عليها "موجودات نازعة نحو الحياة Subject-life" أى موجودات حيه، وهناك اختلاف مميز بين الكائنات الخاضعة للحياة، وتلك التى تعد على قيد الحياة فقط.

<u>أما عن النوع الأول:</u> "الموجودات النازعة نحو الحياة" فلديها قدر كبير من الخبرات الذاتية القائمة على الإرادة ، وهناك مجموعة من الصفات التى يتسم بها كل كائن خاضع للحياة:

" **إن النزوع نحو الحياة ... يتضمن أكثر من مجرد أن يكون الموجود على قيد الحياة، وأكثر من مجرد أن يكون واعيًا، ولكى يكون الكائن نازعًا نحو الحياة، ينبغى أن تتوفر لديه معتقدات ورغبات، وإدراك، وذاكرة، وإحساس بالمستقبل بما فى ذلك مستقبله الخاص به. وحياة انفعالية، ومشاعر، وألم، وسرور، واهتمام بالرفاهية، والقدرة على التصرف سعيًا وراء رغباته وأهدافه، إنه موجود سيكولوجى يتحقق مع مرور الوقت، ورفاهية فردية. بمعنى أن**

حياته الذاتية قد تنجح أو تخفق، ويتم ذلك بشكل مستقل عن منفعته للآخرين".(٤٤)

باختصار؛ ينبغى للموجودات الحية أن يتوفر لها "قصصًا للحياة Life stories" أو "سيرة ذاتية Autobiographies" ما دامت تتمتع بالإرادة التى تميزها عن غيرها من الموجودات(٤٥).

وتتشابه رؤية "ريجان" فى ذلك مع "فاينبرج (١٩٢٦م - ٢٠٠٤م) Feinberg,J"(*) الذى يرى أن الموجودات ذات الإرادة هى تلك الموجودات التى لها اهتمامات ومصالح، ومن ثم تحظى بالحقوق على النقيض من الأشياء المجردة أى الجمادات ويقول فى ذلك:

"**إن الأشياء المجردة ليس لها حياة إرادية، ولا أمنيات ولا رغبات ولا أمال واعية، وليس لديها دوافع أو محفزات، أو دوافع وأهداف لا إرادية وليس لديها ميول كامنة، أو نزعة للنمو، أو اشباعات طبيعية. إن الاهتمامات والمصالح يجب أن تتركب بشكل ما نتيجة للإرادة ، ولهذا فإن الأشياء المجردة ليس لديها اهتمامات ومصالح**".(٤٦)

واستنادًا إلى الاهتمامات والمصالح يظهر معيار النزوع نحو الحياة"، الذى هو بمثابة وصف "**للتشابه ذو الصلة بين الأفراد الذين يتم اعتبارهم ـ بقوة ـ حاملين للقيمة المتأصلة بشكل متساوى**"(٤٧)، ولا يظهر هذا المعيار ـ وفقًا لريجان ـ إلا فى "الثدييات Mammals" الواعية (إنسان أو حيوان) التى يتجاوز عمرها العام. (٤٨) ويُفرض هذا المعيار على هؤلاء حقوقًا أخلاقية أساسية مثل:

١. أولئك الذين تتوفر لديهم قيمة متأصلة، يملكون حقوقًا معينة بشكل مستقل عن أى أفعال تطوعية يقوم بها أحدهم

بشكل مستقل عن المنصب الذى قد يشغله فى أى كيان مؤسسى.

٢. هذه الحقوق تكون كلية؛ بمعنى أن كل الأفراد المتشابهة تملكها وبشكل مستقل عن الاعتبارات المذكورة من قبل.

٣. كل من يملكون هذه الحقوق يملكونها بشكل مماثل. (٤٩)

إذًا يلخص "ريجان" رؤيته للحقوق الأخلاقية النابعة من أصحاب القيمة المتأصلة فى كونها كلية، ومتساوية، ولا تنتج عن أفعال إبداعية يقوم بها فرد (مثل الحاكم) أو جماعة (مثل سلطة تشريعية ما)، علاوة على أنها لا تعتمد على عِرقٍ ما، أو جنسٍ ما، أو ديانةٍ معينة، أو محل ميلاد، أو مكان إقامة معينة. كما لا تعتمد على نوع فرد معين. (٥٠)

أما ما دون ما سبق يدل على **النوع الثانى: أى من هم على قيد الحياة أى الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا**. ويرى "ريجان" أن هذه الفئة تتألف من نوعين؛ **الأول:** أولئك الذين لديهم وعى وإحساس ولكنهم يفتقرون إلى القدرات العقلية الأخرى اللازمة للنزوع نحو الحياة مثل: "الأطفال حديثى الولادة Newly born" أو أصحاب الإعاقة الذهنية. **الثانى:** أولئك الذين لديهم الوعى والإحساس ولديهم قدرات معرفية وإرادية أخرى، أى تلك اللازمة للخضوع للحياة مثل : الحيوانات غير البشرية. (٥١)

وليس معنى افتقار تلك الفئة لمقومات النزوع نحو الحياة ، إهمالهم وعدم العناية بهم . فهم يمتلكون قيمة متأصلة مثل النوع الأول، وقد يكونون هم الطرف المتلقى للأفعال الصائبة الصادرة عن النوع الأول والخاطئة أيضا. فمقومات النزوع نحو الحياة ليست شرطًا ضروريًا للحصول على القيمة

المتأصلة، وإنما القيمة المتأصلة سابقة فى وجودها على هذا المعيار عند كلا النوعين، مما يعنى أن معيار النزوع نحو الحياة شرط كافٍ وليس ضروريًا للحصول على القيمة المتأصلة. وهذا ما يُلقى بمسئولية على عاتق "الراغبين فى الحياة" فى تعاملهم تجاه من هم على قيد الحياة فقط، فيجب التعامل معهم بالحرص من سلوكهم.(٥٢)

إن تلك الفئة الثانية ـ أى التى تشتمل على الحيوانات غير الإنسانية ومن هم لم يبلغوا العام...الخ ـ بالرغم من اختلافهم فى الدرجة أو النوع عن أتباع الفئة الأولى أى الراغبين فى الحياة، فإن هذا لا يمنعهم من امتلاك القيمة المتأصلة. وذلك بسبب وجود نوع من العقلانية لديهم وكذلك نوع من الرفاهية أيضا أى ما فى مصلحتهم.

(ب) القيمة المتأصلة لدى الحيوان:(الحياة العقلية، ما فى مصلحتهم).

بناء على مفهوم "ريجان" للقيمة المتأصلة يرى:

"**أن الحيوانات غير الإنسانية مشابهة للبشر من منظور أخلاقى، ومن ثم لها الحقوق الأساسية للبشر نفسها**".(٥٣) ذلك لامتلاكها نوع من الدراية أو الوعى، مما يدل على توافر نوع من الحياة العقلية.(٥٤)

من هذا المنطلق حاول "ريجان" إثبات وجود نوع من العقلانية لدى الحيوان، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال توجيهه النقد إلى الرؤية "الديكارتية Cartesian" التى تنكر وجود أى نوع من الوعى لدى الحيوانات وذلك بسبب اعتماد "ديكارت" على الرؤية الميكانيكية للسلوك الحيوانى.(٥٥) فهو يعد: "**الحيوانات آلات، وبالتالى تكون مجردة تمامًا من الرغبات، وعاجزة أيضا عن استخدام اللغة. فهذه الآلات لن تقدر مطلقًا على أن تستعمل الكلمات أو أية إشارات أخرى**

تؤلفها كما نفعل نحن لنصرح للآخرين بأفكارنا، فقد يُستطاع أن يتصور خير تصور أن آلة تُصنع على هيئة مخصوصة بحيث تنطق بكلمات...لكنه لا يُستطاع أن يُتصور أنها تجيد تأليف الألفاظ لتجيب أجوبة مطابقة عن كل ما يُقال فى حضرتها كما يفعل أغبى الناس".(٥٦)

كما يستطرد "ديكارت" هجومه على القائلين بوجود حياة عقلية للحيوانات قائلاً: "**إن قدرة بعض الحيوانات على النطق مثل العقعق والببغاء لا يشهد بأن للحيوانات من العقل أقل مما للإنسان،بل يشهد بأنه ليس للحيوانات عقل مطلقًا، ولا تدل ما تفعله الحيوانات على أن لها نفسًا".**(٥٧)

إلا أن "ريجان" يعارض "ديكارت"ـ ويتفق (الباحث) معه ـ فى ذلك، وخاصة فى تركيز "ديكارت" نقده على اللغة، فهى ليست شرطًا للبرهان ـ وفقًا لـ "ريجان"ـ على الوعى عند الإنسان، وتميزه عن سائر الحيوانات. حيث يوجد لدى بعض الحيوانات ـ مثل "القرود العليا"ـ نوع من الحياة العقلية...ولعل "قيمة التكيف Adaptive Value"لدى الحيوان تثبت ذلك(٥٨)من خلال الحجة التراكمية Cumulative(*)(٥٩) كالتالى:

١. تفادى مثير غير سار أو الهروب منه.

٢. الحصول على مساعدة (من خلال الصراخ) بعد حادث غير سار.

٣. الحد من استخدام جزء منهك أو مجروح من الجسد لإراحته (الكف عن تحريك عضلة مشدودة واستخدام طرف آخر من الجسد). (٦٠)

أما عن اعتبار "اللغة" عند الحيوانات دليلاً على عدم توفر حياة عقلية لديهم، فهذا غير صحيح. فإذا كان كذلك فلن يستطع الطفل الرضيع الشعور بالألم، والمتعة، والخوف قبل اكتسابه اللغة، وهى فكرة يقر الجميع بعدم منطقيتها اليوم.[٦١] ويتفق "بيتر سنجر" فى كل ما سبق مع "ريجان فهو يؤكد:

"**إنه إذا كان من بين تلك الحدود الفاصلة أن البشر تستخدم، الأدوات فلوحظ أن طائر نقار الخشب يستخدم شوكة نبات الصبار لحفر الشقوق فى الأشجار، وإذا كان استخدام اللغة حدًا فاصلاً فإن الشمبانزى والغوريلا اليوم تعلما لغة الإشارة من الصم والبكم، وهناك أدلة على أن الحيتان والدلافين لديهم لغة**".[٦٢]

وفى السياق ذاته؛ تستطرد "مارثا نسباوم (١٩٤٧م - ...) Nussbaum, Martha.C." [*] واصفة الحياة العقلية للحيوان من خلال مفهوم براءة الحيوان فى كتابها "الرحمة: الإنسان والحيوان":

" **أعتقد أننى يمكن أن أعيش مع الحيوانات، فهى هادئة للغاية، وقادرة على الاحتواء... ولا يكذبون، ويبكون ويتألمون إذا أخطأوا، ولا يعرفون الخضوع أو الركوع للآخر**".[٦٣]

بناءً على ذلك ؛ بدأ "ريجان" ينسب معتقدات ورغبات إلى الحيوانات، وترك عبء البرهان يقع على عاتق من يرفض ذلك، فهو يرى أن آرائهم غير مرضية وغير كافية[٦٤]، نظرًا لأن الحيوانات تتصرف بشكل متعمد إرضاءً للرغبات، كما أنها تتذكر، وتُكون مفاهيم عامة على أساس الخبرة الماضية، كما أنها تشعر بالمستقبل وتفهم مستقبلها. مما يعنى أن لديها وعى ذاتيًا.[٦٥] ويزعم "ريجان" أن جميع الثدييات التى يبلغ عمرها عام أو أكثر لديها: إدراك، وذاكرة، ورغبة،

واعتقاد، ووعى ذاتى، وإحساس بالمستقبل، إن هذه الصفات بالإضافة إلى الانفعال والإحساس تشكل الحياة العقلية المعقدة للحيوانات. (٦٦)

وبعد إثبات " ريجان" وجود حياة عقلية للحيوان من خلال هجومه على أفكار " ديكارت " بهذا الشأن، تطرق إلى قضية " الرفاهيةWelfare ". أى ما فى مصلحة الحيوان باعتبارها دليلاً على العقلانية لدى الحيوان، وتم استنتاج أن الحيوانات تعمل لصالحها تمامًا مثل البشر.(٦٧) ويرتبط ذلك بقدرة الحيوان على التصرف بشكل مستقل ذاتيًا ـ مثل البشر ـ. ويُعرّف الاستقلال الذاتى على أنه استقلال ذاتى للتفضيل، بين حاجات مختلفة. بمعنى آخر؛ يعرفه بأنه وجود احتياجات وحاجات، ومن ثم القدرة على الشروع فى إشباعها.(٦٨)

لهذا قدم "ريجان" مزيدًا من التفسيرات عن طبيعة عمل الحيوان من أجل صالحه ليوضح ما دور الاستقلال الذاتى فى ذلك، حيث قام بالتمييز بين ما يسميه" اهتمامات التفضيلPerference"و"اهتمامات ما فى خيرها Welfare أو ما فى صالحها" أما **الأولى:** فتشير إلى ما يفضله الفرد، وما يهتم به، أى ما يحبه ويرغب فيه ويريده، أو تفضيلات الفرد بشكل عام. أما "اهتمامات الرفاهية" فهى على النقيض؛ تصف ما فى مصلحة الكائن فقط. فمثلا قد تحب الكلاب مذاق الشيكولاته، ولكن تناولها تتعارض مع ما فى صالحها وذلك من منظور الصحة.(٦٩)

لذلك يرى "ريجان" ما فى مصلحة الحيوان:

" **ليست فى مجرد الحصول على تلك المنافع التى تجعل الحياة جيدة بشكل ما. وسواء أكانوا بشرًا أم حيوانات فإنه يجب على الأفراد إشباع معيشتهم بطريق تتفق مع رغبتهم وما يروق لمصلحتهم، وكل هذا يستلزم أن يحصلوا**

على ما يريدون، ويفضلون ويرغبون فيه وما إلى ذلك، لأن حياتهم دون ذلك تتسم بالإخفاق".(٧٠)

ومن ثم نلحظ اعتماد جودة "ما فى الصالح العام" ونجاحه على "الإرادة" حيث إن : "**أحد الجوانب التى تحدد ما إذا كانت معيشة الحيوانات قد نجحت أو أخفقت هو قدرتها على ممارسة استقلالها الذاتى، حيث إن إعاقة إرادتها بحرمانها من فرص تحقيق ما تفضله يسبب لها الإحباط، بينما السماح لها بالقيام بما تفضله معناه السماح لها بتحقيق ما تريده، وأيضا تحقيق اشباع فيما حققته بوسائلها الخاصة".**(٧١)

ومن ثم أى من خلال الحياة وفقًا لصالحها نلحظ وجود نوع من التفضيلات لدى الحيوان يسعى نحو إشباعها بطريقة تتفق ومصلحته، لذا يعد دليلاً على توفر نوع من العقلانية لديها ومن ثم قيمة متأصلة مثل الإنسان.

(جـ) نقد القيمة المتأصلة عند "ريجان" :

لقد تعرضت مسألة القيمة المتأصلة عند "ريجان، والتمييز بين الكائنات الخاضعة للحياة ومن هم على قيد الحياة إلى العديد من أوجه النقد على يد يعض الفلاسفة كالآتى:

(١) : اتفقت "ريم إدواردز (١٩٣٤م ـ ...)Edwards,Rem"(*) مع "ريجان" فى أن إرادة الفرد تعد وحدها قيمة فى ذاتها، وأنها لا يمكن ردها إلى شىء آخر للاستدلال على ماهيتها. ولكن فى الوقت نفسه رفضت فكرة "ريجان" المترتبة على ذلك وهى أن الحيوانات متماثلة مع البشر، علاوة على امتلاكها قيمة متأصلة هى الأخرى مثل البشر.(٧٢)

وعلى النقيض من "ريجان" فإنها تعتقد بوجود درجات متفاوتة من التابعية للحياة نظرًا لأن البشر يختلفون فيما بينهم من خلال تعقد صفاتهم وميولهم سواء فى: المعتقدات، والرغبات، والمدركات، والذكريات، والإحساس بالمستقبل، والانفعالات، والقدرة على الشعور بالسعادة والألم، والرفاهية...الخ. ولهذا فهى تظهر بدرجات متفاوتة عند كل من البشر والحيوانات.(٧٣) ومن ثم كان من الأولى بـ"ريجان"عدم الإقرار بفكرة التماثل بين البشر والحيوانات ـ وفقًا لـ "ادواردز".

إلا أننا نختلف ـ الباحث ـ مع ما آلت إليه "إدواردز" فى نقدها لـ"ريجان". فما يقصده "ريجان" بهذه الصفات التى تعد معيارًا للنزوع نحو الحياة ويشارك الجميع فيها، أنها بشكل أساسى موجوده عند البشر بغض النظر عن الدرجة ذاتها.

(٢): كذلك لم ترضى "مارى آن وارن(١٩٤٦م ـ ٢٠١٠م) Warren, Mary Anne" عن مفهوم القيمة المتأصلة، ووصفته بأنه مفهومًا غامضًا ومبهمًا. حيث قدمه "ريجان" على أساس أنه:"**سمة مبهمة غير طبيعية يجب التسليم بها**"(*) (٧٤). أى يجب الإقرار بوجودها دون تبرير ذلك. لذا انتقدت "القيمة المتأصلة" قائلةً **إن:** "**القيمة المتأصلة غالبًا ما يتم تعريفها بشكل سلبى أى ليست كذا ... أو كذا...، ولكننا لم نحصل على وصف واضح لماهيتها فى حد ذاتها**".(٧٥) فلم يشر "ريجان" إلى تعريف محدد لها، ولكنه اعتمد على ما ليس موجودًا لتقريب معناها فضلا عن عدم تحديد سمة معينة مرتبطة بها.

لكننا نرى أن "وارن" لم تنتبه إلى هدف "ريجان" من القيمة المتأصلة، حيث كان هدفه تجنب بعض النتائج السلبية للنظرية النفعية، والتأكيد على أن الأفراد

لديهم قيمة باطنية بعيدًا عن أى قيم أداتية أخرى، فهم يمتلكون قيمة فى حد ذاتها ولا يقتصر دورهم على تلقى القيم. (٧٦)

ويحاول " توماس هيل (١٩٣٧م - ...) Hill,Thomas " تقريب معنى الغايات فى حد ذاتها ، وخاصة عند "كانط" من خلال التشبيه بمفهوم الكرامة ، بينما الأشياء النسبية الأخرى لها ثمن. (٧٧) ويستطرد " هيل " واصفًا الكرامة بالقيمة الجوهرية غير المشروطة والتى لا تعتمد على حقائق مشروطة . فكل من له كرامة يمتلك قيمة مستقلة عن المنافع التى قد تقدمها عن تقييم الآخرين لها(٧٨). وتعد الكرامة قيمة لا مثيل لها وأبعد من أن يتم تثمينها، مما يعنى أنه :" **كلما كان على الفرد أن يختار بين شىء يحقق منفعته أو ما يحقق معنى الكرامة ، فعليه أن يختار الحالة الأولى. ولا يوجد أى ثمن أو قيمة ....أن تبرر أو تعوض التضحية بالكرامة**".(٧٩)

ومن ثم نرى أن رؤية "ريجان" للقيمة المتأصلة تقدم معنىً يشبه المعنى الكانطى للكرامة ، وليس مجرد شىء مبهم وغامض كما تدعى "وارن".

(٣): ميز "ريجان" فى إطار "القيمة المتأصلة"، بين من هم لديهم "نزوع نحو الحياة" ومن هم على "قيد الحياة" فقط، وكان نتيجة ذلك استبعاد الأطفال الرضع حتى يبلغوا عامهم الأول لأنهم يفتقدون مقومات النزوع نحو الحياة، وكذلك الأمر بالنسبة لأى حيوان غير ثديى. وتمثلت الأسباب التى ساقها "ريجان" لذلك التمييز فى الآتى:

- قد توجد كائنات تمتلك حقوقًا أساسية ولكنها ليست من أتباع الحياة، نظراً لافتقارها معايير الخضوع للحياة ومقوماتها- التى أشرنا إليها

سابقًا ـ ولكن ما زال لهم حقوق مثل "الأطفال الرضع" لذلك وجب التمييز. (٨٠)

- ينبغى الحذر أثناء التعامل مع فاقدى معايير النزوع نحو الحياة لأنهم قد يملكون حقوقًا دون أن نشعر بذلك. فمثلاً "الأطفال الرضع" مؤهلين ليكونوا أصحاب حقوق، ولكننا قد نقرر أنه من الأفضل الحذر عند التعامل.(٨١)

ولهذه الأسباب يقر "ريجان" أنه ليس لدية إجابة واضحة عن الخطوط الفاصلة والجازمة لتحديد من لديه نزوع نحو الحياة ومن دون ذلك. ولكنه لا يرى أن هذا النقص يُعد عيبًا فى تحديد المعايير الخاصة بالتبعية للحياة كشرط كافٍ لوجود القيمة المتأصلة. (٨٢)

إلا أن "وارن" لم ترضى عن رؤية "ريجان" السابقة؛ وبخاصة المتعلقة بتوخى الحذر عند التعامل مع من هم فاقدى معايير النزوع نحو الحياة، وذلك لأنه إذا منحنا الحرص لكل الكائنات التى نعلم خضوعها للحياة وعدم خضوعها أيضا فسيظهر لدينا التزامات أخلاقية لا يمكن الوفاء بها.(٨٣) فمثلا إذا توخينا الحذر عند التعامل مع من هم فاقدى معايير النزوع نحو الحياة ، وإذا تبينا بعد ذلك أن كائنا ما لا يستحق تلك العناية، فإن ذلك سيأتى على حساب من هو خاضعًا للحياة، وبذلك نكون قد نسبنا حقوقًا من قبيل الخطأ إلى فئة قد لا تستحقها. وبتطبيق ذلك على التجارب العلمية على الحيوانات سنجد أنه سيضيع العديد من التجارب التى قد تحقق مستوى معقول من مصلحة الإنسان .

وبناءً على ذلك نلحظ ظهور مجموعة من الحقوق الأساسية للحيوانات التى لا يمكن انتهاكها ، ومجموعة أخرى يمكن انتهاكها لكن بشروط ـ وفقًا لـ"ريجان"ـ سنبينها لاحقًا .

(ثالثاً): "الحقوق الأساسية عند "ريجان" ، لا يمكن انتهاكها:

(أ) أهمية الحقوق Rights(*) عند "ريجان" :

لقد تمثلت أسباب اعتماد "ريجان" على فكرة "الحقوق" عند مناقشة حقوق الحيوان فى الآتى:

" **أولاً**": بيان الوضعية الخُلقية للحيوانات بحكم حقها الذاتى، ذلك على النقيض من "كانط" الذى تجاهل حقوق الحيوانات.

"**ثانيًا**": فى حالة الاعتماد على الحقوق لا يتم الخلط بين الأفعال الأخلاقية فى ذاتها وبين الحالات الذهنية للفاعلين أى رغباتهم وتوجهاتهم.

"**ثالثًا**": تغلق الحقوق الباب أمام التحيزات التى قد تتبادر إلى الأفراد عندما تتعارض مصالحهم مع الحقوق عند النظر إلى نتائج الأفعال مثل النفعية.(٨٤)

وليس مقصد " ريجان " من ذلك صياغة الحقوق فى قالب قانونى ، وإنما التأكيد على أنها بديهيه فُطر الفرد عليها . فالقوانين على مر التاريخ عادةً ما يشوبها النقصان والعيوب ، وخاصة فى تعاملها مع الحيوانات . وهذا ما ذكره " جارى فرانسيون (١٩٥٤م ـ ...)Francione, Gary"، إذ يرى أن الحالة القانونية على مدار تاريخها تنظر إلى الحيوانات غير الإنسانية بوصفها أحد الممتلكات والموارد Resources فقط، مما كان يبرر للإنسان استغلاله لها، ونتيجة لذلك أخفقنا فى إعطاء الحيوانات ما لها من

حقوق.[٨٥]وبهذا أضحت الحقوق ذات وظيفة ميكانيكية فقط ،يتم من خلالها تبرير تجاهل الحياة الحسية للحيوانات...الخ.

وبناءً على ذلك اتبع "فرانسيون" كلاً من "سنجر" و"ريجان" فى رؤيتهما للحقوق، حيث اهتم كلاهما بالاهتمامات الحيوانية التى تُشتق من الإحساس والإرادة، وبالتالى تستحق الاهتمام والعناية بشكل متماثل مع الإنسان، لقد كان إرثًا مخزيًا أن يتعامل القانون مع الحيوانات غير الإنسانية والأشياء الجامدة على أنها ملكية للبشر وليس لها أدنى حقوق.[٨٦]

وتتمثل قيمة الحقوق ـ بصفة عامة ـ فى غرس الواجبات داخل الناس بناءً على الاهتمامات والمصالح المشتركة، لذلك هى أساس الواجبات[٨٧]. فالحق إذًا هو أساس الواجب، بمعنى الأساس الذى يبرر التزام هذا الشخص بالواجب، ما لم تواجهه اعتبارات أخرى متعارضة ذات ثقل أكبر،[٨٨] فالحق بمثابة قيد معقد.

وهذا ما يشبه نظرية "جورج رينبولت George Rainbolt " فى الحقوق والمسماه بنظرية "القيد المبرر للحقوق Justified-constraint theory " وفيها يكون للفرد حق فقط "**إذا كانت إحدى خصائص هذا الفرد وسماته سببًا فى وجود نوع من القيد عند الآخرين**"[٨٩] ، فالحقوق تعمل بالضرورة على تقييد تصرفات الآخرين ، أى لا تعطيهم المبرر للتدخل فى حق الآخرين.

وبتطبيق ذلك على الحيوانات نلحظ تمتعها بنوع من الحياة الواعية ـ كما أشرنا ـ علاوة على وجود نوع من إشباع ما فى مصلحتها، مما دفع بـ "ريجان" إلى المساواة بينها وبين الإنسان. واعتبر هذه المساواة نوعًا من أنواع الحقوق تفرض قيدًا مباشرًا على الإنسان لا ينبغى انتهاكه، متمثلاً فى "مبدأ الاحترام" .

(ب) الحقوق الأساسية : "مبدأ الاحترام Respect Principle" .

إن الحقوق الأخلاقية الأساسية التى يعنيها "ريجان" تختلف عن الحقوق القانونية، من حيث إنها تكون "كلية" و"متساوية" عند كل الأفراد. كما تختلف عن "الحقوق المكتسبة Acquired" التى تنشأ نتيجة لأفعال شخص ما خاضع لالتزامات مؤسساتية معينة(٩٠). وتعد "الوعود" التى نقطعها للآخرين مثالاً لتلك الحقوق والواجبات المكتسبة، وبالتالى فإن من حصلوا على تلك الوعود، يملكون بموجبها حقًا مكتسبًا. (٩١) يجوز لهم المطالبة به ضد من ينتهك ذلك الحق.

ومن ثم يصف "ريجان" هذه الحقوق المكتسبة بأنها عبارة عن "علاقات متبادلة correlative" شرعية مرتبطة بواجبات أخلاقية ضد من ينتهك هذه الواجبات، بمعنى أن يتضمن ذلك الحق المكتسب معاملة معينة يكون الفرد مؤهل لها، وإن لم يقم الفرد بذلك، يصبح لآخرين الحق فى المطالبة بحقوقهم.(٩٢)ومن ثم لكى تكون العلاقات صحيحة وشرعية، لا بد أن يتوافر فيها شيئان: المطالبة بأمر ما فى مقابل أمر آخر. (٩٣)

ولا تعد الحقوق الأساسية عند "ريجان" من ذلك النوع من الحقوق المكتسبة، وإنما هى نوع من الواجبات غير المكتسبة مثل: واجب "العدالة Justice"، حيث إن هذه الواجبات وما يرتبط بها يوجد بغض النظر عن أى أفعال تطوعية يقوم بها الفرد ، أو أى اتفاقيات قد يكون الفرد جزء منها. (٩٤)

ويزعم "ريجان" أن من يملكون القيمة المتأصلة يملكون أيضا حقًا أساسيًا من النوع الثانى غير المكتسب فى التعامل بشكل محترم وفقًا لمبدأ الاحترام الذى يقره كل الكائنات المسئولة أخلاقيًا(٩٥). ومن ثم يصرح "ريجان":"**ينبغى أن نتعامل مع الأفراد ذوى القيمة المتأصلة بطريقة تحترم هذه القيمة**"(٩٦).

ونظرًا لتوفر القيمة المتأصلة لدى الكائنات المسئولة أخلاقيًا والكائنات غير المسئولة أخلاقيًا على السواء، فإن المطالبة بالتعامل باحترام وكذلك الحق فى هذا التعامل المحترم يعد متساويًا عند كليهما(٩٧).

ومن ثم عندما نعامل الحيوانات بشكل محترم، فإن هذا ليس فعلاً طيبًا بقدر ما هو فعل من أفعال العدالة(٩٨). إذا تعد الحقوق الأساسية عند "ريجان" مستقلة عن المنفعة وأكثر أساسية منها.(٩٩)

ومن ذلك أتت دعوته إلى الإلغاء الكامل لكافة أشكال الاستغلال الحيوانى سواء التجارى أو الزراعى بما فى ذلك: استخدام الحيوانات فى الأبحاث العلمية، والقضاء التام على كافة أنماط الاستزراع الحيوانى بغرض التجارة، وكذلك الصيد والقتال من أجل التجارة والرياضة. (١٠٠)

فهو يرفض التعامل مع الحيوانات على أنهم آلات بيولوجية Biological Machines(١٠١)،حيث ينظر البعض إليهم كسلع قابلة للاستهلاك، مما يتسبب فى قدر كبير من الألم والحرمان للحيوان فى صالح الإنسان (١٠٢).

لذلك يدعو " ريجان " من منطلق امتلاك الجميع " القيمة المتأصلة، وكذلك مبدأ الاحترام " إلى الاهتمام بمصالح الحيوان ونبذ استغلاله ، فليس معنى عجز الإنسان عن فهم حقوق الحيوان، والقدرة على الانصات إلى أصدائهم، أن الحيوانات غير البشرية تفتقر إلى القدرة على المطالبة بحقوقهم أو الذود عنها، مما يلزم البشر الدفاع عن حقوقهم من خلال التوقف والتحدث علانية عن حقوق الحيوان(١٠٣)، تلك الحقوق المتمثلة فى ثلاثة أشكال رئيسة: حياتهم، وأجسادهم، وحرياتهم.(١٠٤) لذا وجب احترامهم، وعدم استخدامهم فى الطعام أو الملابس أو التجارب. (١٠٥)

كما يرفض "ريجان" ـ من منطلق مبدأ الاحترام ـ استخدام الحيوانات فى أى نوع من أنواع البحث العلمى أو التجارب العلمية بكافة صورها، ويدعو إلى التوقف عن إلحاق الأذى بهم. فهو يعد ذلك انتهاكًا واضحًا لـ "مبدأ الاحترام" الخاص بهم، والتقليل من قيمتهم المتأصلة، والتعامل معهم بشكل عنصرى يعود بالنفع على الإنسان فقط ، ويؤكد ذلك قائلاً:

" **إن التعامل مع الحيوانات المستخدمة فى التجارب العلمية ... يتم بشكل يقلل من قيمتهم المتأصلة وفائدتهم... ما يعد نوعًا من عدم الاحترام، حيث يتم انتهاك حقوقهم بشكل روتينى ومنهجى**".(١٠٦)

ويتفق "كارل كوهن(١٩٣١م ـ ...)Carl Cohen" مع "ريجان" فى ذلك، فبالرغم من أن "كوهن" يعد من أكبر مؤيدى استخدام الحيوانات فى التجارب العلمية ، إلا أنه فى الوقت نفسه يعتقد أن الحيوانات تملك قيمة متأصلة؛ لذلك دعا مؤخرًا إلى التوقف عن إلحاق الأذى غير الضرورى بها، أى ما ليس فى مصلحة الإنسان. (١٠٧)وكذلك الباحثة "سوزان فنسن Susan Finsen" ترى :

"**أنه من بين ستين إلى تسعين مليون حيواناً ـ غير بشرى ـ يموتون فى المعامل والفصول فى الولايات المتحدة، حيث تم استخدامهم لأسباب غير أساسية، بما فى ذلك العروض التوضيحية داخل الفصل، واختبار المنتجات، وكذلك البحث السيكولوجى**".(١٠٨)

ومن ثم يمكننا القول إن معظم التجارب على الحيوانات تتضمن قدرًا كبيرًا من المعاناة الشديدة لها مقارنة بما قد يمر به الانسان عند مرضه، فإن جزءًا من هذه

المعاناة لا تبرير له، حتى وإن كان الهدف خدمة الاهتمامات الرئيسة للإنسان.(١٠٩) أى أن الإنسان يبرر استخدامهم دون مراعاة لمشاعرهم .

للتدليل على ذلك نجد فى عام ١٩٦٠م بعض العلماء فى المتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى فى مدينة نيويورك قد أجروا بعض التجارب الخاصة بالجنس لدى القطط. وفى هذه التجارب، شوّه الباحثون القطط بطرق عدة مثل: التخلص من أجزاء من أدمغتها، وتدمير حاسة الشم لديها، وإماتة حاسة اللمس عن طريق قطع بعض الأعصاب فى أعضائها الجنسية... ثم قيموا أداءها الجنسى فى سياقات مختلفة.(١١٠) مما سبب معاناة لتلك الحيوانات لا حد لها. (*)

إن الأسباب الحقيقية وراء رفض إجراء التجارب على الحيوانات تكمن فى صعوبة التنبوء بالنتائج.

ويوضح "برنارد رولن (١٩٤٣م ـ ...) Bernard Rollin " أن غالبية التجارب العلمية التى تُجرى اليوم لا تسمح بالتنبوء المعقول بنتائج التجارب ، وبخاصة فيما يتعلق بالآثار التى قد تقع على الحيوانات".(١١١)

ومن بين الأسباب أيضا أن الحيوانات فى المعامل ـ وفقًا لـ "ريجان" ـ يتم انتهاك معاملتها دون أدنى احترام حيث إن حقوقها تُنتهك بمجرد إحضارها إلى المعمل وحبسها فيه (١١٢) ، حيث تعيش حيوانات التجارب عادة فى أقفاص صغيرة تمثل ظروف معيشية غير مألوفة على الإطلاق فى ظل عوامل إثراء ضئيلة أو معدومة فى حياتها. ويعد الملل والشعور بالوحدة من الأمور الشائعة لدى حيوانات التجارب. كما قد تتسبب مناولة الحيوانات أيضا إلحاق الضرر بها ؛ فقد تتسبب المناولة الخشنة ، مثلما يحدث عند إناخة حيوان بالقوة قبل حقنه، فى كرب وألالام هائلين. (١١٣)

وبناء على ذلك يعد "ريجان" استخدام الحيوانات فى التجارب العلمية انتهاكًا أساسيًا لمبدأ الاحترام وحقوقهم الأساسية، من خلال إجبارهم على الخضوع للتجربة المعملية ، بينما البشر غير الأصحاء لم يتم انتهاك حقوقهم،[١١٤]ولا تأتى هذه العنصرية أو هذا الانتهاك إلا من خلال اعتبار البعض حيوانات المعمل موردًا لنا معشر البشر، بل مورد متجدد باستمرار.[١١٥] فالسماح بإجراء التجارب على الحيوانات ـ وفقًا لـ "ريجان" ـ يعد خطأً لأنه يسمح بالانتهاك الروتينى لحقوقهم. [١١٦]

إننا بذلك ننتهك مبدأ الاحترام الأساسى عندما نتعامل مع الحيوانات ذوى القيمة المتأصلة على أنهم مجرد مورد متجدد لنا، وذلك عندما نرى أن " **قيمتهم تعتمد على مدى منفعتهم بالنسبة لمصالح الآخرين**"[١١٧] ، وعندئذ يتم إلحاق الضرر بالحيوانات واستغلالهم دون مراعاة لقيمتهم فى حد ذاتها.

وبصفة عامة ؛ طالما يمتلك جميع الأفراد ـ الكائنات المسئولة وغير المسئولة أخلاقيًا ـ قيمة متأصلة ، إذًا فإنه يتساوى الجميع فى الحقوق والواجبات. ولما كان للجميع الحقوق والوجبات بالقدر نفسه إذًا ينبغى من الجميع احترام تلك الحقوق . ولما كانت "الحيوانات" نوعًا من الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا ، إذا فلهم قيمة متأصلة ، وطالما لهم قيمة متأصلة إذًا فهم متساوون فى الحقوق مع الكائنات المسئولة أخلاقيًا، وعلى الكائنات المسئولة أخلاقيًا احترامهم، وعدم انتهاك حقوقهم. لأن ما دون ذلك يعد بمثابة إيذاء لهم.

(رابعًا):مبادىء انتهاك الحقوق عند"ريجان": (مبدأ الإيذاء The Harm Principle).

يعمل مبدأ الاحترام على فرض مبدأ آخر وهام: "مبدأ الإيذاء"، والذى يعد واجبًا بديهيًا مؤداه عدم التعامل مع ممن يحمل "القيمة المتأصلة" بشكل يقلل من رفاهيتهم وما فى مصلحتهم، وهذا ما اتضح من عرضنا السابق لرؤية "ريجان" فى التعامل مع الحيوانات. لذا يؤمن "ريجان" بالشعار التالى:" **بأن لدينا واجبًا بديهيًا مباشرًا، بألا نؤذى الحيوانات**"(١١٨).ويفسر ريجان ذلك قائلاً :

١. "**إن النظر فى هذا الحق ـ أى الحق فى عدم الايذاء ـ يكون دائما من خلال الاعتبارات الأخلاقية ذات الصلة فقط، وليس من خلال اعتبارات عملية أو تجريبية.**

٢. **إن كل من يؤذى شخصًا آخر، أو يسمح للآخرين بإيذائه، لابد أن يملك مبررًا لذلك من خلال نقطتين أساسيتين: (أ) الاستعانة بمبادىء أخلاقية أخرى صحيحة. (ب) بيان أن هذه المبادىء تفوق الحق فى عدم الإيذاء فى تلك الحالة**".(١١٩)

وفى ضوء ذلك يعتبر "ريجان" أن الكائنات أصحاب القيمة المتأصلة يملكون حقًا بديهيًا فى عدم إيذائهم ووجوب احترامهم.

بيد أن ذلك ليس معناه ألا نؤذى الأفراد ذوى القيمة المتأصلة بشكل مطلق، فهناك حالات قد يسمح فيها "بالإيذاء" دون أن يمثل ذلك انتهاكًا للحقوق الأساسية، وذلك على سبيل المثال:

"**الدروع البريئة Innocent Shields**": فمثلا قد يكون لنا الحق فى إيذاء شخص برىء كى نمنع الأذى والضرر عن أبرياء آخرين. ويقدم "ريجان" مثالاً

لأحد الإرهابيين فى دبابة يحتجز أمامه (٢٦رهينة) أمام الحائط. والطريقة الوحيدة لإيقافه تفجير الدبابة، ولكنه للأسف قام بربط أحد الرهائن بالدبابة. فى هذا المثال يزعم "ريجان" أن التصرف الصحيح هو التضحية بالرهينة المثبتة على الدبابة وذلك لإنقاذ(٢٦رهينة) من الموت، ويعد الامتناع عن ذلك الفعل فشلاً فى القيام بالالتزام الأخلاقى، حيث ينبغى لنا ضمان حق باقى الرهائن فى عدم التعرض للأذى. (١٢٠)

إذًا فنحن أمام صراع أخلاقى مرتبط بالحقوق، إما إنقاذ ست وعشرين رهينة أو تفجير الدبابة المثبت عليها شخص واحد برىء، علمًا بأن لجميع أطراف المعادلة حقوقًا أساسية وهى الحق فى الحياة.

تلك هى الإشكالية التى يبرر فيها "ريجان" انتهاك الحقوق فى بعض الظروف المعينة، والتى تشمل أيضا حالات "الدفاع عن النفس" ـ سواء بالنسبة للإنسان أم للحيوان ـ ضد أى اعتداء خارجى قد يهدد حياة الأبرياء. (١٢١)

وتؤكد "لارى ألكسندر Alexander, Larry" أن فائدة هذا الانتهاك أنه قد يؤدى إلى وجود نوع من الاتزان الإيجابى، وتقول:

" **هناك بعض الأفعال التى تعد خطأً أخلاقيًا رغم أنها تؤدى إلى وجود اتزان إيجابى لكافة النتائج، ولكن إذا كان الاتزان الإيجابى للنتائج كبيرًا بما يكفى ـ وخاصة إذا كان ذلك سيجنبنا نتائج كارثية، ويجعل الأفراد فى حال أحسن وأفضل ـ فإنه يُسمح للأفراد ، بل ينبغى أن يشتركوا فى هذه الأفعال التى قد تعد محرمة أخلاقيًا فى مواقف أخرى**". (١٢٢)

مما سبق يتضح أن "ريجان" يرى أن احترام الآخرين مطلق، وأن لواجب عدم إيذاء الآخرين الأولوية أيضا. لكن يمكن تجاوزه أيضا فى ظل ظروف معينة.

لذلك أرسى "ريجان" ثلاثة مبادىء رئيسة يُسمح من خلالها بانتهاك الحقوق: "مبدأ تجاهل الأدنى Minride Principle" ، و"مبدأ أسوأ الحالات Worse off" ، و"مبدأ الحرية".

(أ) مبدأ تجاهل الأدنى : "Minride Principle" .

ينص هذا المبدأ على الآتى: " **عندما يتعين علينا الاختيار بين تجاهل حقوق العديد من الأبرياء أو تجاهل عدد أقل من الأبرياء فى حال تعرضهم للأذى بشكل متساوٍ، فإنه ينبغى تجاهل حقوق العدد الأقل من الأبرياء** ".[١٢٣]

ووفقًا لهذه المبدأ؛ فإنه عندما يكون حجم الأذى الواقع على الأفراد متساويًا، وليس هناك استثناءات أخرى ، يتوجب علينا الاختيار: إما تجاهل حقوق قلة من الأفراد أو تجاهل حقوق عدد أكبر. فإنه ينبغى تجاهل حقوق العدد الأقل ، وذلك لصالح العدد الأكبر. [١٢٤]

فعلى سبيل المثال إذا كان علينا الاختيار بين عدة خيارات أحدها سوف يتسبب فى إيذاء(A) فقط، وأخر سوف يتسبب فى إيذاء(B,C,D) وسيكون الإيذاء عليهم جميعًا متساويًا، فسوف نختار تجاهل حقوق (A) فقط. ولعل مبدأ الاحترام يُحتم علينا هذا الاختيار تحديدًا، لأن كل الكائنات الحية تمثل واحدًا فقط وليس أكثر من ذلك ، ولكى نُبدى الاحترام المتساوى لكل الحقوق المتكافئة للأفراد المتورطة، ينبغى علينا أن نختار تجاهل حقوق (القِلة) وليس حقوق (الكثرة). [١٢٥]

ولكن بالرغم من منطقية "مبدأ تجاهل الأدنى" إلا أنه قد واجهته عدة إشكاليات:

١. عودة "ريجان" مرة أخرى إلى نقطة البدء التى قد نقدها سابقًا وهى "النفعية" ، وذلك من خلال اعتماده على فكرة "حسابات الحقوق:" هل ننحاز فى حالة التعارض إلى العدد الأقل أم الأكبر؟ . وهذا ما أثاره " ديل جيميسون(١٩٤٧م -....) Jamison,Dale" قائلاً: إن ريجان قد أخفق فى تطوير بديل منافس وقوى للنظريات النفعية ، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالطريقة التى يتعامل بها مع قضية تجاهل الحقوق. (١٢٦)

٢. دائمًا ما يرفض "ريجان" مبدأ "تقليل الأذى أو الأضرار" نظرًا لأنه "مبدأ عواقبى" يتعامل مع الأفراد على أنهم مجرد متلقين للقيمة فقط، ولا يدعو إلى المساواة بين الأفراد(١٢٧)، إلا أنه من خلال "مبدأ تجاهل الأدنى"، عاد مرة أخرى إلى ما رفضه من ذى قبل، وأقر ضمنيًا بقبول مبدأ تقليل الأضرار والذى ينص على التالى :

" **إنه إذا وجدنا أنفسنا فى موقف تؤدى فيه كل الخيارات المتاحة إلى إيذاء أبرياء، فإنه ينبغى أن نلجأ إلى الاختيار الذى سينتج عنه أقل ضرر ممكن**".(١٢٨)

(ب) مبدأ أسوأ الحالات : "Worse-Off" .

وهذا المبدأ ينص على الآتى: " **عندما يتعين علينا الاختيار بين تجاهل حقوق العديد من الأبرياء أو تجاهل عدد أقل من الأبرياء فى حال تعرضهم للأذى بشكل أكبر يفوق العدد الأكبر، فإنه ينبغى تجاهل حقوق العدد الأكبر من الأبرياء** ".(١٢٩)

لا بد من الإشارة إلى أن الفارق بين "مبدأ أسوأ الحالات " و"مبدأ تجاهل الأدنى" يكمن فى درجة الضرر، فإذا كان حجم الضرر متساويًا بين الأطراف، نلجأ إلى"مبدأ تجاهل الأدنى"، أما إذا كان غير ذلك فإننا نلجأ إلى "مبدأ الأسوأ".

وطبقًا لمبدأ الأسوأ إذا كانت درجة الإيذاء لكائن ما أشد وأكبر من مجموعة من الكائنات، يجب توزيع الضرر على جميع الكائنات وليس على الكائن الواحد، وذلك لأن نوعية الحياة التى قد يعيشها هذا الكائن الوحيد سوف تتحول إلى فوضى كارثية ، بينما الرفاهية التى يتمتع بها المجموعة من الكائنات سوف تتأثر بشكل بسيط مقارنة بهذا الكائن. (١٣٠)

ويصف "ريجان" ذلك قائلاً:"

إما أن نؤذى (A) بشكل كبير جدًا، أو نؤذى ألف شخص آخر بشكل متوسط... لنفرض أننا قمنا بوضع قيم عددية للأضرار المذكورة ليكون الضرر الذى سيلحق بـ(A) هو (125-)، وإجمالى الضرر الذى سيلحق بالألف شخص هو (1000-) بمعنى أن درجة الألم لكل شخص من الألف (1-) ... وبالتالى فإننا يجب أن ننحاز إلى إلحاق الضرر بالألف شخص".(١٣١)

وهذا يعنى باختصار؛ رفض "ريجان" إلحاق الضرر والأذى الشديد لأى كائن يحمل قيمة متأصلة، وذلك منعًا لإحداث أضرار أكثر للكائنات الآخرين،حيث إذا تم جمعها فسوف "تفوق" ذلك الضرر الأكبر.

إن فلسفة حقوق الحيوان تُحرم هذا النوع من التبادل، لأننا عندما نسبب ضررًا كبيرًا لفرد ما لمجرد منع أضرار أقل عن الآخرين إذا تم جمعها فإنها تفوق الضرر الذى لحق بالكائن الواحد، فإننا بذلك نتعامل معه على أنه مجرد مستقبل لما له قيمة وليس قيمة فى حد ذاته.

ومن ثم يمكننا القول إنه إذا كان تجاهل حقوق ألف من الأبرياء سيجعل الضرر الواقع على كل فرد فيهم أقل من الضرر الواقع على فرد واحد بعينه عند تجاهل حقوقه، فإن التصرف الصحيح هو تجاهل حقوق الألف فرد.(١٣٢)

ولعل فكرة تجميع الأضرار يعد أمرًا غير مألوفًا لأن مقدار الضرر الواقع هو الأهم بالنسبة لأى مبدأ.

ولكن بالرغم من منطقية "مبدأ أسوأ الحالات" إلا أنه قد واجهته عدة إشكاليات:

١. إشكالية "الأفعال الإضافية Supererogatory Acts" التى تتطلب منا القيام بأشياء قد تكون زائدة عن أفعالنا مما يضر بمصالحنا. ويفسر "ريجان" ذلك قائلاً:

" **لنفرض أن أحد المشاركين فى سباق للسيارات قد تعرض لحادثٍ مروعٍ ، وأنه قد يموت حتمًا إذا لم ينقذه الفريق الطبى المتواجد معه، ولنفرض أيضا أن هناك أربعة مرضى آخرين يحتاجون مساعدة هذا الفريق الطبى فى الوقت نفسه. وأنهم سيتم علاج هؤلاء الأربعة جميعًا بشكل متساوٍ شريطة ألا ينصرف أحد من الفريق الطبى لإنقاذ المتسابق. أما إذا توجه الفريق الطبى لعلاج المتسابق فإن المرضى الأربعة سيتعرضون للإيذاء المبرح (سيفقد أحدهم ذراعه مثلاً ، أو سيصاب الثانى بالشلل ...الخ) ولكن لن يموت أى منهم. وأيضا طالما لم تسمح "الحقوق" لنا بتجميع الأضرار وتركيزها فى شخص واحد إذا كانت الأضرار غير متساوية ، فإن من يتفق مع هذه الرؤية لا يمكن أن يزعم أنه ينبغى معالجة المرضى الأربعة لأن إجمالى الإيذاء الذى يتعرضون له يتجاوز الإيذاء الذى يتعرض له المتسابق بمفرده. ونظرًا لأن مبدأ**

"أسوأ الحالات" يوجهنا لمنع وصول الفرد لأسوأ حالاته، وإذا نحينا الاعتبارات الخاصة جانبًا، فإن هذا المبدأ يستلزم أن نتجاهل حقوق المرضى الأربعة والاستجابة لحاجة المتسابق، وبتطبيق هذا المبدأ، فإن المرضى الأربعة عليهم التعاون وتحمل الإيذاء الواقع عليهم لرقع الإيذاء عن المتسابق".(١٣٣)

وتكمن الإشكالية هنا فى أن المتسابق سوف يواجه أسوأ حالاته مقارنة بالمرضى الآخرين ، وأن عليهم أن يوافقوا على أن يحصل المتسابق على اهتمام الفريق الطبى ، ولكن نظرًا لأن المتسابق قد وافق على الاشتراك فى نشاط خطير مثل سباق السيارات ، فليس واضحًا السبب الذى يجبر المرضى الآخرين على تحمل الإيذاء الناتج عنه، بالرغم من دخوله المسابقة طواعيةً.

ولحل هذه الإشكالية اقترح "ريجان" عبارة "الاعتبارات الخاصة الإضافية"(*) ، وهى عبارة شرطية تم إلحاقها إلى (مبدأ أسوأ الحالات، وكذلك مبدأ تجاهل الأدنى، ومبدأ الحرية لاحقًا) ويقول :" **هؤلاء الذين يشتركون طواعيةً فى سلوك عالى الخطورة، بما فى ذلك سباق السيارات، فهم يختارون تعريض أنفسهم للمخاطر، وهم على النقيض ممن يفضلون الابتعاد عن مثل هذه الأنشطة. وهناك جانب من القواعد التى لم يتم التعبير عنها، والتى تنطبق على أولئك الذين يشتركون فى هذه الأنشطة حيث يشير إلى أن هؤلاء الذين يمتنعون عن المشاركة، لا يمكن أن يُطلب منهم المعاناة والتعرض للإيذاء ـ باسم العدالة ـ وذلك من أجل إنقاذ هؤلاء الذين يتحملون طواعيةً مخاطر إضافية عند تفاقم هذه المخاطر وتعرضهم للأزمات**"،(١٣٤) فهؤلاء الذين يشتركون فى أنشطة عالية الخطورة ويجدون أنفسهم فى حاجة للمساعدة يتنازلون عن حقهم فى عدم

الوصول لأسواء الحالات بإرادتهم، وخاصة إذا كان السبيل الوحيد لإنقاذهم قد يؤذى أخرين لم يشتركوا فى هذا السلوك الخطير.

١. كذلك انتقد "جيمسون" ـ ونتفق معه فى ذلك ـ هذا المبدأ، واعتقد أن "ريجان" قد تجاهل الاعتبارات التراكمية Cumulative"، لأنه لم يبدأ الجميع من المستوى نفسه من الرفاهية، فمثلاً: فى موقف ما علينا أن نختار بين إصابة مليون شخص بالإعاقة الحركية Cripple، وبين إصابة شخص واحد معاق حركيًا فعلاً بالصداع أيضا، فهنا علينا وفقًا لمبدأ أسوأ الحالات أن نلجأ إلى الاختيار الأول، لأن الشخص المعاق المصاب بالصداع أيضا سيكون فى أسوأ حالاته. (١٣٥)

ويشير أيضا ـ ونتفق معه فى ذلك ـ إلى أن "مبدأ أسوأ الحالات" يتعارض مع "مبدأ تجاهل الأدنى" ، ذلك لأن الأول يتعامل مع المواقف المتماثلة بينما الثانى يتعامل مع الأضرار المتماثلة.

" **تخيل أن هناك موقفًا ينبغى فيه الاختيار بين إصابة ستة من الأشخاص بالعمى أو إصابة شخص واحد، ونظرًا لأن الأضرار متماثلة، فإن العدد يكون له دلالة فى هذه الحالة. ولعل مبدأ تجاهل الأدنى سيوجهنا لإصابة فرد واحد فقط بالعمى. ولكن لنفرض أن هذا الفرد كان أصمًا أيضًا، فإذا أصيب بالعمى سيكون فى أسوأ حالاته مقارنة بالأفراد الستة الآخرين إذا أصابهم العمى، وبالتالى فإن مبدأ أسوأ الحالات يوجهنا لإصابة الأفراد الستة بالعمى فى هذه الحالة**".(١٣٦)

فإذا قمنا بمراجعة "مبدأ أسوأ الحالات" ولكن فى ضوء الأضرار المتماثلة مثلما "مبدأ تجاهل الأدنى"، فإنه سيظل يثير الإشكاليات:"**إذا كان علينا أن نختار بين**

مليون شخص يفتقد كل منهم ذراعًا واحدًا وبين شخص واحد يفقد كلا ذراعيه، لوجب علينا إيذاء المليون شخص".[١٣٧] لوجدنا أنه غير منطقى.

فمن غير العقلانى أن يعيش المليون شخص بذراع واحد فقط، من أجل تخفيف الآلام عن شخص واحد، وكأن هذا الذراع الثانى لا قيمة له.

لكن يعتمد "ريجان" من خلال هذا المثال على إثبات صدق آراءه ومبادئه دون الرجوع إلى الواقع ومطابقته لصدق حججه النظرية ، مما يعد عيبًا خطيرًا فى فلسفته تجاه حقوق الحيوان.

(جـ) مبدأ "الحرية" وإشكالية "قارب النجاة Life boat".

ويدور هذا المبدأ على فرضية إذا تعارضت حقوق الحيوان مع حقوق الإنسان، والاثنان من أصحاب القيمة المتأصلة ، فيجب التضحية بحقوق الحيوان من أجل الإنسان.

وينص هذا المبدأ على الآتى: "**إن الكائن البرىء Innocent الحر له الحق فى التصرف بما يجنبه الوصول إلى أسوأ الحالات ، حتى وإن كان هذا التصرف قد يؤذى أبرياء آخرين، شريطة أن يتم التعامل مع كل أفراد الموقف باحترام، مع افتراض عدم وجود اعتبارات خاصة**".[١٣٨]

ولتوضيح هذا المبدأ يضرب "ريجان" المثال التالى: "**لنفرض أننى فى إحدى قوارب النجاة برفقة كلب، وهذا القارب لا يحمل إلا فردًا واحدًا، فمن المسموح لى أن ألقى بالكلب خارج القارب. ولعل هذا لا يرجع إلى فشلى فى التعامل مع الكلب بالاحترام الذى يستحقه (حيث لا أتعامل معه كمتلقٍ للقيمة أو أنه قابل للاستبدال)، ولكن لأن الإيذاء الواقع علىّ وهو الموت أكبر بديهيًا من الإيذاء الواقع على الكلب، حيث إن فُرص النجاة التى قد يمنعها عنى الموت فى هذا**

الموقف أكبر من حيث العدد من فُرص الإشباع التى قد يمنعها الموت عن الكلب".(١٣٩)

ومبررات "ريجان" فى ذلك: بأن الأفراد سيكونون فى أسوأ حالاتهم من الكلب إذا تم الإلقاء بهم خارج القارب. أما إذا أنقذنا الكلب، فإننا بذلك نعطيه أكثر من حقه من خلال المساواة بين الأضرار ويقول:

"**ستتم المساواة بين الضرر الأقل الواقع على الكلب وبين الضرر الأكبر الواقع على أحد البشر إذا تم إلقاؤه خارج القارب، أو اعتبار الإيذاء الواقع على الكلب أكبر ... فالإيذاء هنا متمثل فى الموت الذى يحول دون كل فرص الاشباع ، ولا يوجد شخص عاقل ينكر أن موت أى من الأفراد الأربعة قد يعد خسارة بديهية أكبر، وبالتالى إيذاء بديهى أكبر مما قد يتعرض له الكلب**".(١٤٠)

ويضيف "ريجان" أنه حتى إذا كان هناك مليون كلب على متن القارب مع الأفراد الأربعة من البشر، علمًا بأن القارب لا يمكن أن يحمل سوى أربعة أفراد، فمن المقبول أخلاقيًا أن يتم إلقاء المليون كلب خارج القارب من أجل إنقاذ الأفراد الأربعة من البشر.(١٤١)

قد يظن البعض أن "ريجان" بهذا المبدأ ينحاز إلى التحيز النوعى مما يتعارض مع جوهر مبادئه وهو المساواه بين الكائنات، إلا أن ذلك غير صحيح فهو قائم على :

" **تقييم الخسائر التى يتكبدها كل فرد وبشكل متساوٍ، وهو مدخل يتسق مع الاعتراف بالقيمة المتأصلة المتساوية والحق البديهى المتساوى فى عدم التعرض للإيذاء والذى يملكه كل أفراد الموقف**".(١٤٢)

إن مثال "قارب النجاة" يدل على مقصد "ريجان" من مبدأ الحرية ، حيث يدعو من خلالهما إلى حرية تصرف أى فرد من الأفراد تجاه أى موقف قد يعرضه إلى الوصول إلى أسوأ حالاته مثلما تصرف الأفراد الأربعة تجاه الكلب.

ولكن بالرغم من وجاهة هذا المبدأ، إلا أنه تعرض إلى عدة انتقادات أمكنه الرد على معظمها:

١. أن "ريجان" لم يكن متسقًا مع مبادئه، وبخاصة فى المساواة بين حقوق الحيوانات والبشر، حيث إنه نادى بعدم استخدامهم فى التجارب والأبحاث العلمية ولا صيدهم ... الخ، إلا أنه فى حالة قارب النجاة رأى أنه ينبغى التضحية بالكلب لإنقاذ الأفراد الأربعة، وبهذا يعد غير متسقٍ فيجب التخلى عن أحدهما إما مبادئه الأساسية أو إشكالية قارب النجاة.

إلا أن الباحثة "سوزان فنسن susan finsen" ـ ونتفق مع هذا الرأى ـ رأت أن هناك اتساقًا بين قارب النجاة ومبادىء"ريجان" الرئيسة بخصوص حقوق الحيوان وليس هناك اختلاف، وبالتالى فإن مبدأه بعدم استخدام الحيوانات فى الأبحاث لا يتعارض مع إشكالية قارب النجاة.(١٤٣) فالتجارب العلمية التى تُجرى على الحيوانات تختلف عن إشكالية قارب النجاة، حيث إننا فى حالة قارب النجاة نكون أمام اختيار واحد فقط، إما إنقاذ الكلب أو الأفراد الأربعة، أما فى حالة التجارب العملية فهناك عديد من الاختيارات حيث قد يجوز التجريب أيضا على الإنسان بعد استئذانه، فهناك مساحة من الاختيار. كما أنه فى بعض الأحيان ـ ونتفق كذلك مع هذا الرأى ـ قد يعمل البشر على إنقاذ الحيوانات، وذلك بالنظر إلى براءة الحيوانات، وتاريخ اضطهاد البشر لها، وهذا ما نجده الآن فى جمعيات حقوق الحيوان.(١٤٤)

كما يصمم "ريجان" على أن الحيوانات المستخدمة فى التجارب قد تم بالفعل انتهاك حقوقها عند أخذها إلى المعمل عنوة منذ البداية. فهذا الموقف مختلف تمامًا عن إشكالية قارب النجاة التى لم يتم انتهاك حقوق أى فرد فيها للوصول إلى تلك الحالة. إن جلب الحيوان إلى المعمل بنية إيذائه يمثل انتهاكًا لحقه فى معاملته باحترام ، فهذه الحيوانات قد تم إجبارها على ذلك. (١٤٥)

٣. ينتقد " ديل جيمسون " " ريجان " فى رفضه لإجراء التجارب على الحيوانات من أجل إنقاذ بشر يعانون من مرض ما ، ويتهمه بالقول ضمنيًا إنه يؤيد مثل هذه الحالات .

فيقول طالما أن " ريجان " مع فكرة إلقاء مليون كلب من سطح القارب بغرض إنقاذ الأفراد الأربعة، فإنه ليس هناك غضاضة من إجراء التجارب على عدد من الكلاب بغرض إنقاذ بشر يعانون من مرض ما. (١٤٦)

إلا أن "ريجان" يصر على أنه "**عند جلب حيوان أعزل إلى المعمل ليتم استخدامه فى تحقيق منفعة للإنسان، فإن حق هذا الحيوان فى معاملة محترمة قد تم انتهاكها**". (١٤٧)

ويقول "ريجان ردًا على ذلك : ولكن حتى إذا كنا نتصرف دائمًا بشكل إجبارى فى اتخاذ القرارات بشأن الحيوان، فإنه ليس كل أوجه الإجبار تعد انتهاكًا لحقوق الحيوان، وهنا ينبغى أن نميز بين قرارات الإجبار التى تنتهك حقوق الحيوان وتلك التى لا تنتهكها. (١٤٨) لذلك قدم ريجان ثلاثة شروط ضرورية تجعل الموقف يندرج تحت حالة قارب النجاة ليحسم هذا الجدال:

١. التهديد بالهلاك المباشر العاجل لكل الأطراف.

٢. عدم وجود أى بدائل للتضحية بأحد الأطراف.

٣. التنبوء بأن التضحية بأحد الأطراف سوف تنقذ أرواح الموجودين على سطح القارب والذين لم يتم التضحية بهم. (١٤٩)

وبتطبيق هذه الشروط على حيوانات التجارب العلمية نجدها لا تنطبق عليهم ، ففى حالة حيوانات التجارب العملية لا يوجد تهديد مباشر لكل الأطراف، فالحيوانات لم تكن لتتعرض للخطر إن لن تؤخذ إلى المعمل. أما فى حالة قارب النجاة فليس هناك بدائل متاحة أمامنا مثل إجراء التجارب على الحيوانات، أما بالنسبة للشرط الثالث ففى حالة إجراء التجارب على الحيوان عادة ما توجد فوارق زمنية تفصل بين وقت إجراء التجربة على الحيوانات وبين ظهور الآثار التى قد تنفع الناس، وليس من المحتمل أن تؤثر هذه التجارب الحديثة فى البشر المعرضين للخطر.

ومن ثم تعد مبادىء "تجاهل الأدنى"، و"أسوأ الحالات" ، و"الحرية" صورًا من صور انتهاك الحقوق بشكل مبرر، وذلك عندما يحدث تعارض بين الحقوق.

(د) مثال تطبيقى للمبادىء الثلاثة السابقة:

مما لا شك فيه أن جوهر فلسفة حقوق الحيوان هو أنه من الخطأ إيذاؤها وتعريض حياتها للخطر نظرًا لما تحمله من قيمة متأصلة مثل الإنسان فى ذلك: "**تحقق أفضل النتائج بالنسبة للجميع**".(١٥٠)

ولكن سرعان ما تنقلب هذه الحقيقة رأسًا على عقب مثلها فى ذلك مثل الإنسان ، عندما تواجهنا مشاكل شائكة مثل مشكلة زيادة أعداد الحيوانات ، لا سيما " القطط " التى قد تفوق إمكانيات الإنسان من خلال فرض تكاليف وأسباب للرعاية قد لا يطيقها الإنسان مثل: "توفير منازل كافية لهم، علاوة على

إطعامهم ...الخ. لذلك كان هناك مقترحان لحل هذه المشكلة: إما اللجوء إلى قتلهم أو إخصائهم عن طريق إجراء بعض العمليات الجراحية:

" **عندما نقوم بإخصاء قطة ما، فإننا نبرر ذلك بقولنا إنه أمر جائز لأنه سيمنع معاناة الآخرين، وليس لأن هذا لصالح القطة مثلا، وقد نجد أحد الملصقات الضخمة الداعمة لإخصاء الحيوانات وقد كُتب عليها: (لا يوجد منازل كافية لها، قم بإخصاء حيوانك الأليف)، وملصق آخر وقد كتب عليه: "اجعل حيوانك عقيمًا، فسوف يسعده ذلك"، غير أن تبرير فرض التكاليف على حيوان واحد، من خلال الإشارة إلى ما سيحظى به الآخرون من منافع يبدو موقفًا نمطيًا تستبعده المداخل القائمة على الحقوق، حتى وان كان باقى الأطراف حيوانات أيضا وليسوا بشرًا**".(١٥١)

إن هذا الموقف قد يجعلنا على حافة " المفارقة ": فكيف نكون مدافعين عن حقوق الحيوان ؟ منادين بعدم التعرض إليهم وإيذائهم ، وفى الوقت نفسه نبرر إخصاءهم ، ما يجعلنا نتعامل معها كأنهم أدوات ، أو وسائل لغاية معينة تمثل الخير للجميع، أوحتى تمثل حياة أسهل لمالكها. فعندما يقوم الفرد بإخصاء حيوان ما كى يجعل منه رفيقًا أفضل، فإنه بذلك يعبر عن أحد الاتجاهات الوسيلية التى ترفضها فلسفة حقوق الحيوان بشكل قاطع.(١٥٢)

وبصورة أكثر وضوحًا لتوصيف الموقف: فإما أن نلحق الضرر ببعض منهم عن طريق عمليات الإخصاء ، وذلك للسيطرة على أعدادهم ، أو نسمح لتلك الأعداد بالتزايد ، الأمر الذى سيؤدى حتمًا إلى زيادة الأضرار البالغة التى ستعانى منها معظم القطط الضالة، إن لم يكن جميعها، وهذه الأضرار قد تكون مثل: المرض ، والجوع، والصراع على الأرض، والموت المبكر.

والرد على ذلك ليست التربية المنزلية للحيوان بغرض الحفاظ عليه نوعًا من العدالة، لأنها تتصف بنوع من الحبس القهرى ، والاستغلال ، واستخدامهم لمنفعة البشر...الخ. (١٥٣) كما أن عملية بناء ملاجىء لاحتوائهم ليست حلاً نظرًا للزيادة المفرطة فى أعدادهم، مما قد يزيد من عمليات القتل الرحيم لكل من القطط الضارة أو المريضة مثلا ...الخ. (١٥٤) فما الحل إذن؟

يكمن الحل فى مبادىء "ريجان" الثلاث السابقة التى تبرر انتهاك حقوق الحيوان فى أضيق الحدود مع الحفاظ على الحقوق الأساسية للحيوان مثل: "الحفاظ على أرواحهم ، وأجسادهم، وحرياتهم"(١٥٥).

وتعد مبادىء "أسوأ الحالات"، و"الحرية" أنسب المبادىء تطبيقًا على هذا الموقف: فنحن أمام حلين إما اللجوء إلى إخصاء هذه القطط من أجل الحفاظ على أعدادها، أو قتلها.

وإعمالا لهذه المبادىء نلحظ أن الضرر غير متماثل لذلك يجوز اللجوء إلى مبدأ "أسوأ الحالات" وهو اخصاء القطط، كذلك يجوز اللجوء إلى مبدأ الحرية، لأن ترك الحيوانات تتكاثر بهذه الصورة قد يتعارض مع مصلحة الإنسان مثلما تعارضت مصلحة الأفراد الأربعة مع مصلحة الكلب، فكان الاختيار اللجوء إلى التضحية بالكلب.

وأعتقد أن "ريجان" إذا عُرضت عليه هذه الإشكالية لتوصل إلى النتيجة ذاتها من خلال المبادىء الثلاث السابقة. ولكنى ـ الباحث ـ أختلف معه فى ذلك، لأن ذلك الحل يتعارض مع أبسط حقوق القطط وهى الرغبة الجنسية، فلديها اهتمام بممارسة النشاط الجنسى. ومن المحتمل أن الحيوانات تستمع بالنشاط الجنسى مثل الإنسان.

لذلك أتفق مع "جيسكا بيرس(١٩٦٥م ـ ....) Jessica Pierce" فبالرغم من أهمية فكرة الإخصاء، إلا أننا إذا طبقناها، لا ندرك الأضرار التى قد تقع على الحيوان بصورة مباشرة وتقول:

"**هناك ميل للمبالغة فى تبسيط أمر الاخصاء وتعزيز المنافع الأساسية له دون أن ندرك أن الحيوانات بالفعل تعانى من بعض الأضرار(*)... ونحن ندين لتلك الحيوانات بالإقرار بهذه الحقيقة**".(١٥٦)

(خامسًا): تقييم نقدى:

بالرغم من وجاهة مبادىء "ريجان"، والمؤيدين لحقوق الحيوان مثل "سنجر" أيضا ، والمنادون بالمساواة فى الحقوق بين الإنسان والحيوان ، إلا أن هناك عدة انتقادات يمكن توجيهها إليهم :

١.ترجع جذور فلسفة حقوق الحيوان إلى مذهب الفردية الليبرالية الغربية التى تؤكد على المساواة، حيث يُنظر للفرد على أنه بؤرة الاهتمام الأخلاقى. فبالنسبة لـ"سنجر" كان المبدأ الأساسى لديه النظرة المتساوية لمصالح كافة الكائنات الشاعرة، أما "ريجان" فقد استخدم مبدأ المساواة ليجادل بأن كافة الحقوق ينبغى أن تُعطى لكل الحيوانات الذين تم إدراجهم فى فئة "أتباع الحياة" كما أشرنا سابقًا. (١٥٧)

ولكن التركيز على مبدأ الفردية ومبدأ المساواة لا يقدم أساسًا جيدًا للتفكير الأخلاقى بشأن الحيوانات كلها، فغالبًا ما يركز العلماء على قرارات أخلاقية تخص الحيوان الواحد المفرد مثل: القتل الرحيم ، والرعاية الفريدة لهذا الحيوان. ولكن فى حالات أخرى وكثيرة يتطلب النظر إلى جماعة الحيوانات بأسرها من خلال تأثير النظم الأيكولوجية فيها وحمايتها. فمثلا قد يرى بعض البيولوجيين

أنه من الصواب قتل بعض الفيلة للبقاء على الجماعة بصحة جيدة، أو أنهم قد يتحكمون فى أماكن إقامة الحيوانات وأعدادهم من أجل الحفاظ على نظام إيكولوجى متوازن. كما أن الاهتمام بفصيل معين من الحيوانات يعد عنصريًا فى ذاته، فهناك حيوانات أخرى لم تندرج تحت فئات "أتباع الحياة" التى ذكرها "ريجان"، وهى الحيوانات آكلة اللحوم والسامة ...الخ.

٢. لقد ركز "ريجان" وكذلك "سنجر" على الاهتمام بتعريف مبدأ أخلاقى واحد والمتمثل فى الاهتمامات والمصالح عند "سنجر" ، واحترام الحقوق الفردية عند "ريجان ، والذى نستنتج منه طريقة التعامل بشكل صحيح مع الحيوانات ، وكأنه هو المبدأ الوحيد الصحيح وما دونه خطأ.

إلا أن التركيز على مبدأ واحد يبدو أمرًا تبسيطيًا ، فهناك بعض الأمور والمبادىء التى قد ينشب بينها صراع مثلما لاحظنا فى إشكالية " قارب النجاة " عند " ريجان " ، وهذا يتطلب وجود مبادىء أخرى لحل هذه الصراعات. فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك بعض المبادىء التى تتطلب منا أن نترك الحيوانات تعيش فى البرية بمفردها دون تدخل منا حتى لا نؤذيها أو نقيد أسرها، إلا أنه أحيانا ما يُطلب التدخل لرفع المعاناة عن هذه الحيوانات والتقليل منها.(١٥٨)وبذلك نكون قد وقعنا فى فخ "المفارقة".

٣. يعتمد كل من "ريجان" و "سنجر" على الاتساق المنطقى، فى حين أظهرا اهتمامًا أقل بالمعرفة التجريبية أو التحليل التقنى، فمثلاً : زعم "ريجان" أن سياسته الخاصة بعدم التدخل فى حياة الحيوانات البرية تؤيد الجهود المبذولة للحفاظ على الأنواع المعرضة للخطر؛ دون ملاحظة أن العديد من الأنواع المعرضة للخطر تحتاج إلى التدخل الانسانى كى تنجو، بل إن العديد من أفراد

هذه الأنواع قد تُقتل بشكل اضطرارى لحماية عدد أقل من أفراد الأنواع النادرة.[١٥٩]مما يعارض فكرة الاتساق المنطقى.

لكن بالرغم من تلك الانتقادات فضلاً عن الصعوبات التى عرضناه فى مقدمة البحث، إلا أن "ريجان" يعد من أهم المدافعين عن حقوق الحيوان، وذلك من خلال إبرازه للقيمة المتأصلة فى الحيوانات وتفريقه بين "الكائنات الخاضعة للحياة ومن هم على قيد الحياة.علاوة على مساواته بين الإنسان والحيوان فى الحقوق.

الخاتمة:

سنتناول في هذه الخاتمة أهم ما توصلنا إليه من نتائج في ضوء التساؤلات المحورية التي طرحناها في بداية البحث وهي علي النحو التالي:

(أولاً): فيما يتعلق بالتساؤل الأول: ما موقف "ريجان" من آراء السابقين عليه بخصوص حقوق الحيوان ، وكيف اختلف عنهم؟

لقد تباينت رؤى الفلاسفة حول قضية "حقوق الحيوان" فهناك من ينكر أن ينسب أى حقوق للحيوانات، وجعلها فى مرتبة أدنى من الإنسان، على سبيل المثال لا الحصر "أرسطو" الذى دفع بأن الحيوانات ـ رغم افتقارها إلى "العقل" ـ تمتلك إدراكًا حسيًا، وأنها أقل من البشر فى المرتبة الطبيعية ومن ثم تُمثِّل مواردًا تُلائم الأغراض الإنسانية .

كذلك "الكانطية" فقد سلمت بأن الكائنات المسئولة أخلاقيًا فقط، أو الكائنات العقلانية وحدها تعد غايات أخلاقية فى حد ذاتها، فكان يرى أن البشر لديهم قيمة جوهرية نظرًا لقدرتهم على التفكير على عكس الحيوانات التى تفتقر للعقلانية.

وأيضا "النفعية" فبالرغم من اهتمامها بحقوق الحيوانات وعدم إنكارها لأى حقوق لديهم، إلا أنها فى النهاية لم تتسق مع مبادئها. فالنفعية تعظم من مبدأ المساواة" بين الأفراد فضلاً عن تعظيم "الخير" على الشر، ومن ثم نظرت إلى الحيوانات باعتبارها وسائل وليست غايات فى حد ذاتها ، بمعنى أنها اهتمت بما يعود بالنفع على الإنسان من جراء الاهتمام بالحيوان. وها هو "سنجر" بالرغم من اهتمامه بحرية الحيوان وعدم الإضرار به ...الخ، إلا أنه فى النهاية اذا

تعارضت حقوق الإنسان مع الحيوان يجوز الاعتداء على حقوق الحيوان، ويأتى ذلك متسقًا مع نفعيته. فمثلا يمكننا تخيل تقليل معاناة "بقرة" ما إذا أصيبت بمكروه ما من منطلق الحفاظ على حقوقها، لكن فى الوقت نفسه يكون من المقبول أخلاقيًا قتل البقرة بغرض الغذاء، وخاصة إذا كان هناك عدد كبير من الأفراد يريد تناول قطع من اللحم !!!

أما موقف "ريجان" فكان مغايرًا للسابقين عليه ، ورأى أن أفكار السابقين تعبر عن فكرة العبث الأخلاقى القائم على استبعاد "الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا Moral Patients"من نظرياتهم الأخلاقية المباشرة . فـ"ريجان" يقسم الأفراد إلى فئتين:

– **الفئة الأولى؛ فئة "الكائنات المسئولة أخلاقيًا Moral Agent"**: الأفراد المسئولين أخلاقيًا، أى هم أفراد لديهم قدرات عقلية مركبة يستطيعون التصرف وفقًا لمبادىء أخلاقية تحدد المسار الملائم للفعل ، وعادة ما يكونون بشرًا طبيعيين كاملى الأهلية .

–**أما الفئة الثانية؛ فئة "الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا"**: الذين ينبغى إدراجهم فى المجتمع الأخلاقى، ولكنهم يفتقرون إلى القدرة على أن يكونوا مسؤولين أخلاقيًا، وعادة ما يكونون حيوانات، أو أطفالاً ، أو بشرًا بالغين غير كاملى الأهلية، أى ليس لديهم قدرات تُمكنهم من أن يصيروا أفرادًا أخلاقيين.

يكمن جوهر اعتراض "ريجان حول الرؤى السابقة بما فيها "النفعية" فى تعاملهم مع جميع الكائنات الأخلاقية والمرضى الأخلاقين على أنهم وسائل فقط.

(ثانيًا): أما فيما يتعلق بالتساؤل الثانى: ما مفهوم "ريجان" للقيمة المتأصلة؟، ومن يمتلكها؟ ، وما مدلول ذلك على الحيوانات؟.

يؤمن "ريجان" بالتساوى بين جميع الأفراد نظرًا لامتلاكهم " قيمة متأصلة أو قيمة فى حد ذاتها". أى بعيدًا عن أى منفعة أو أى وسيلة لشىء آخر، فكل كائن بشرى وغير بشرى يمتلك قيمة مستقلة منطقيًا عن كونه ذا قيمة لأى شخص آخر. وتعد هذه الفكرة على غرار فكرة كانط التى تشير إلى أن الأفراد موجودون كغاية فى حد ذاتهم، إلا أن الفارق بينه وبين "كانط" يكمن فى أن "كانط" يرى الكائنات المسئولة أخلاقيًا فقط أو الكائنات العقلانية هى التى تعد غاية فى حد ذاتها، فالبشر وحدهم لديهم قيمة جوهرية نظرًا لقدرتهم على التفكير، وحيث إن الحيوانات ـ وفقًا لكانط ـ تفتقر إلى العقلانية ، فهى تعد مجرد أشياء ذات قيمة نسبية، وأن أى واجبات نلتزم بها تجاههم هى واجبات غير مباشرة. بينما يقر "ريجان" أن كل أتباع الحياة ـ سواء كانوا كائنات مسئولة أم غير مسئولة أخلاقيًا ـ غايات فى حد ذاتهم.

ويعتقد "ريجان" أن الكائنات التى تمتلك هذه القيمة يطلق عليها "كائنات نازعة نحو الحياة Subject-life"، وهناك اختلاف مميز بين الكائنات النازعة نحو لحياة، وتلك التى تعد على قيد الحياة فقط.

<u>أما عن النوع الأول:</u> "الكائنات النازعة نحو الحياة" فلديها قدر كبير من الخبرات الذاتية التى تتضمن وجود الإرادة ، وهناك مجموعة من الصفات التى يتسم بها كل كائن نازع نحو الحياة:" إن النزوع نحو الحياة ... يتضمن أكثر من مجرد أن يكون الكائن على قيد الحياة، وأكثر من مجرد أن يكون واعيًا،

ولكى يكون الكائن نازعًا نحو الحياة، ينبغى أن تتوفر لديه معتقدات ورغبات، وإدراك، وذاكرة، وإحساس بالمستقبل بما فى ذلك مستقبله الخاص به. وحياة انفعالية ومشاعر وألم وسرور.

أما النوع الثانى: أى من هم على قيد الحياة أى الكائنات غير المسئولة أخلاقيًا. فهذه الفئة تتألف من نوعين: الأول: أولئك الذين لديهم وعى واحساس ولكنهم يفتقرون إلى القدرات العقلية الأخرى اللازمة للخضوع للحياة مثل: "الأطفال حديثى الولادة Newly born" أو أولئك الفاقدين للقدرات العقلية. الثانى: أولئك الذين لديهم الوعى والإحساس، ولديهم قدرات معرفية وإرادية أخرى، أى تلك اللازمة للخضوع للحياة مثل : الحيوانات غير البشرية.

وبناء على مفهوم "ريجان" للقيمة المتأصلة فهو يرى: "أن بعض الحيوانات غير الإنسانية مشابهة للبشر من منظور أخلاقى، ومن ثم لها الحقوق الأساسية للبشر نفسها". ذلك لامتلاكها نوع من الدراية أو الوعى، مما يدل على توافر نوع من الحياة العقلية. ومن ثم بدأ "ريجان" ينسب معتقدات ورغبات إلى الحيوانات، وعبء البرهان يقع على عاتق من يزعمون عكس ذلك، حيث اختبر "ريجان" حججهم، ورأى أنها غير مرضية وغير كافية، نظرًا لأن الحيوانات تتصرف بشكل متعمد إرضاءً للرغبات، كما أنها تتذكر وتكون مفاهيمًا عامةً على أساس الخبرة الماضية، كما أنها تشعر بالمستقبل وتفهم مستقبلها. وبالنظر إلى هذه السمات معًا نجد أنها تشير إلى أن الحيوانات لديها وعى ذاتى. كما أن لكل الحيوانات تفضيلات واهتمامات بالرفاهية، فقد تستفيد أو تُضر، ولعل السمة

العامة لحياة الفرد يحددها مدى إشباع تلك المفاضلات التى يهتم الجميع بإشباعها وتحقيقها.

ولما كانت الحيوانات تتمتع "بالوعى" و"تحقيق ما فى مصلحتهم أى الرفاهية" فهى مثل الإنسان فى امتلاك قيمة متأصلة ومن ثم وجب احترامها ، ولا يمكننا انتهاك ذلك المبدأ.

(ثالثًا): أما فيما يتعلق بالتساؤل الثالث: ما طبيعة الحقوق الأساسية عند"ريجان" التى يجب احترامها ولا يمكن انتهاكها؟ وماهية "مبدأ الاحترام"؟

تتمثل قيمة الحقوق فى غرس الواجبات داخل نفوس الناس بناءً على الاهتمامات والمصالح المشتركة، لذلك هى أساس الواجبات، فالحق إذًا هو أساس الواجب، بمعنى الأساس الذى يبرر التزام هذا الشخص بالواجب ، ما لم تواجهه اعتبارات أخرى متعارضة ذات ثقل أكبر. فهو بمثابة قيد مركب.

وتعد الحقوق الأساسية عند "ريجان" نوعًا من الواجبات غير المكتسبة مثل: واجب "العدالة Justice"، حيث إن هذا النوع من الحقوق وما يرتبط بها موجود بغض النظر عن أى أفعال تطوعية يقوم بها الكائنات ، أو أى اتفاقيات قد يكون الكائن جزءًا منها.

ويزعم "ريجان" أن من يملكون القيمة المتأصلة يملكون أيضا حقًا أساسيًا فى التعامل وفقًا لمبدأ الاحترام امن كل الكائنات المسئولة أخلاقيًا. ومن ثم يصرح "ريجان" بأنه ينبغى أن نتعامل مع الكائنات ذوى القيمة المتأصلة وفقًا لهذا المبدأ.

ونظرًا لأن الكائنات المسئولة وغير المسئولة أخلاقيًا لديهم قيمة متأصلة متساوية، فإن المطالبة بالتعامل المحترم وكذلك الحق فى هذا التعامل يعد متساويًا عند كليهما. ومن ثم عندما نعامل الحيوانات فى ضوء مبدأ الاحترام فإن هذا ليس من باب "العطف" ، وإنما هو فعل من أفعال العدالة.

إذا تعد الحقوق الأساسية عند "ريجان" مستقلة عن المنفعة، وآصل منها، وتأتى فى ثلاثة أشكال رئيسة: حياتنا ، وأجسادنا، وحرياتنا.

أما عن حقوق الحيوان عند "ريجان" التى يتعين "احترامها" فهى كالتالى:

١. الإلغاء الكامل لكافة أشكال الاستغلال الحيوانى سواء التجارى أم الزراعى، بما فى ذلك: الإلغاء التام لاستخدام الحيوانات فى الأبحاث العلمية، والقضاء التام على كافة أنماط الاستزراع الحيوانى بغرض التجارة، وكذلك الصيد والقتال من أجل التجارة والرياضة.
٢. رفض التعامل مع الحيوانات على أنهم آلات بيولوجية، حيث ينظر البعض إليهم كسلع قابلة للاستهلاك، مما يترتب عليه فى المعاناة ألم وحرمان بشكل كبير لهم لصالح الإنسان.
٣. يدعو "ريجان" من منطلق امتلاك جميع البشر "القيمة المتأصلة، ومبدأ الاحترام" إلى الاهتمام بمصالح الحيوان ونبذ استغلالهم، فليس معنى عجز الإنسان عن فهم حقوق الحيوان، لأنهم يفتقرون إلى القدرة على المطالبة بحقوقهم أو الذود عنها، فهذا الافتقار يلزمنا ـ نحن البشر ـ بواجب التدخل من خلال التوقف والتحدث علانية عن حقوق الحيوان.

٤. يرفض "ريجان"- من منطلق مبدأ الاحترام - استخدام الحيوانات فى البحث العلمى أو التجارب العلمية بكافة صورها، ويدعو إلى التوقف عن إلحاق الأذى بهم. فهو يعد ذلك انتهاكًا واضحًا لـ "مبدأ الاحترام" الذى أثره، والتقليل من قيمتهم المتأصلة، والتعامل معهم بشكل عنصرى يعود بالنفع على الإنسان فقط.

(رابعًا): أما فيما يتعلق بالتساؤل الرابع: ما المبررات التى وضعها "ريجان" لانتهاك الحقوق الأساسية؟ وماهية "مبدأ الإيذاء"؟

يعمل مبدأ الاحترام على فرض مبدأ آخر وهام وهو "مبدأ الإيذاء"، والذى يعد واجبًا بديهيًا مرتبطًا بعدم التعامل مع من يحمل "القيمة المتأصلة" بشكل يقلل من قدرهم. وهذا يعنى أن الأفراد من ذوى القيمة المتأصلة يملكون حقًا بديهيًا فى ألا يتم إيذاؤهم ووجوب احترامهم؛ بيد أن هذا لا يعنى أنه ينبغى تطبيق هذا المبدأ بشكل مطلق ، فهناك حالات قد يسمح فيها "بالإيذاء" مثلما ذكرنا فى حالة الدروع البريئة ، أو فى إشكالية "قارب النجاة" إما أن نضحى بالكلب أو نضحى بالأفراد الأربعة.

لأجل ذلك أرسى "ريجان" ثلاثة مبادىء رئيسة يسمح من خلالها انتهاك الحقوق: "مبدأ تجاهل الأدنى Minride Principle" ، و"مبدأ أسوأ الحالات Worse off" ، و"مبدأ الحرية".

١."**مبدأ تجاهل الأدنى**": فعندما يكون حجم الأذى الواقع على الأفراد متماثلاً، وليس هناك استثناءات أخرى، وعندما يتوجب علينا الاختيار بين تجاهل حقوق قلة من الأفراد، أو تجاهل حقوق عدد أكبر، فإنه ينبغى تجاهل حقوق العدد الأقل ، وذلك لصالح العدد الأكبر.

٢."**مبدأ أسوأ الحالات**" : فإذا كانت درجة الإيذاء لفرد ما أشد وأكبر من مجموعة من الأفراد، يجب توزيع الضرر على جميع الأفراد وليس الفرد الواحد ، وذلك لأن نوعية الحياة التى قد يعيشها هذا الفرد الوحيد سوف تتحول إلى فوضى كارثية ، بينما الحالة التى يتمتع بها مجموعة الأفراد سوف تتأثر بشكل بسيط مقارنة بهذا الفرد.

٣."**مبدأ الحرية**" : ومؤداه أنه لأى فرد الحق فى التصرف بما يجنبه الوصول إلى أسوأ الحالات، حتى وإن كان هذا التصرف قد يؤذى أبرياء آخرين، مثلما حدث فى إشكالية "قارب النجاة".

تلك هى المبادىء التى يستخدمها "ريجان" من أجل حل الإشكاليات التى قد تظهر من خلال الحقوق المتصارعة ، والتى تمكنه أيضا من تبرير انتهاك أى حق من الحقوق الأساسية.

ثبت بأهم المصطلحات الواردة فى البحث.

غايات فى حد ذاتهم Ends of Themselves

المقصود بغايات فى حد ذاتهم ، أى النظر إلى الكائنات (بشر أو حيوانات) أنفسهم وليس باعتبارهم وسيلة مفضية إلى غاية أو جنى أى مصلحة من وراءهم. فالزعم مثلاً بأن "كلبًا" ما أو إنسانًا يحظى بمكانة ما، فإنه يحظى بها بسبب ماله من أهمية فى ذاته، وليس فى علاقته بالبشر. وبصورة أكثر دقة أن مصالح ورفاهية الكائنات تعد قضية مهمة ويجب النظر إليها بعين الجدية بعيدًا عن مدى تأثير ذلك فى البشر.

القيمة المتأصلة Inherent Value

هى التى تعتبر الكائنات غاية فى حد ذاتهم وليس مجرد وسيلة إلى شىء أخر. ويصفها "ريجان" قائلاً:"إن كل كائن بشرى يمتلك قيمة مستقلة منطقيًا عن كونه ذا قيمة لأى شخص آخر (أو بمعنى مطابق ربما، مستقلة عن كونه موضع مصلحة أى شىء آخر).فالنظرة القائلة إن الكائنات البشرية تمتلك قيمة متأصلة...توحى بأن ذلك النوع من القيمة...ليس نوعًا أداتيًا...إن قيمتهم متميزة عن نفعهم ومهارتهم".

الكائنات المسئولة أخلاقيًا Moral Patient

هم الكائنات المسئولين أخلاقيًا، أى من لديهم قدرات عقلية مركبة تمكنهم من التصرف وفقًا لمبادىء أخلاقية تحدد المسار الملائم للفعل ، وعادة ما يكونون بشرًا طبيعيين كاملى الأهلية وهم من الثدييات (بشرًا أو حيوانات) يبلغ عمرهم ما فوق العامين .

الكائنات غير المسئولة أخلاقيا Non Moral Patient

هم الذين ينبغى إدراجهم فى المجتمع الأخلاقى ، ولكنهم يفتقرون إلى الشعور بالمسئولية الأخلاقية، وهم إما حيوانات أو أطفالاً أو بشرًا بالغين غير كاملى الأهلية، أى ليس لديهم ما يؤهلهم حتى يصيروا أفرادًا أخلاقيين. ويرى "ريجان" أن هذه الفئة تتألف من نوعين؛ **الأول:** أولئك الذين لديهم وعى وإحساس ولكنهم يفتقرون إلى القدرات العقلية الأخرى اللازمة للنزوع نحو الحياة مثل: "الأطفال حديثى الولادة Newly born" أو أصحاب الإعاقة الذهنية. **الثانى:** أولئك الذين لديهم الوعى والإحساس ولديهم قدرات معرفية وإرادية أخرى، أى تلك اللازمة للخضوع للحياة مثل : الحيوانات غير البشرية.

مبدأ الاحترام Respect Principle

يزعم "ريجان" أن من يملكون القيمة المتأصلة يملكون أيضا حقًا أساسيًا من النوع الثانى غير المكتسب فى التعامل بشكل محترم وفقًا لمبدأ الاحترام الذى يقره كل الكائنات المسئولة أخلاقيًا. فمبدأ الاحترام الذى يقصده "ريجان" مستقل عن المنفعة وأكثر أساسية منها. ومن ذلك أتت دعوته إلى الإلغاء الكامل لكافة أشكال الاستغلال الحيوانى سواء التجارى أو الزراعى بما فى ذلك: استخدام الحيوانات فى الأبحاث العلمية، والقضاء التام على كافة أنماط الاستزراع الحيوانى بغرض التجارة، وكذلك الصيد والقتال من أجل التجارة والرياضة. فهو يرفض التعامل مع الحيوانات على أنهم آلات بيولوجية Biological Machines، حيث ينظر البعض إليهم كسلع قابلة للاستهلاك، مما يتسبب فى قدر كبير من الألم والحرمان للحيوان فى صالح الإنسان.

القتل السرى Secret Killing

هى تلك العملية التى يقوم به كائن ما لتخلص من كائن أخر يمثل ضررًا على الجميع ، دون أن يعلم الجميع من نفذ هذه العملية. لكن بالرغم من مدى نفعية تلك العملية إلا أنها مثلت جدلاً أخلاقيًا كبيرًا وذلك بين المثاليين أمثال "كانط" الذين يؤمنون بمثالية المبادىء الاخلاقية والتى لا يمكن انتهاكها وخاصة إذا كان هناك قتل كائن ما ، وبين النفعيين الذين يؤمنون بالمبادىء التى تحقق خير أفضل للجميع.

"موجودات نازعة نحو الحياة Subject-life "

تلك الموجودات التى لها قدر كبير من الخبرات الذاتية القائمة على الإرادة ، وهناك مجموعة من الصفات التى يتسم بها كل كائن خاضع للحياة:" إن النزوع نحو الحياة ... يتضمن أكثر من مجرد أن يكون الموجود على قيد الحياة، وأكثر من مجرد أن يكون واعيًا، ولكى يكون الكائن نازعًا نحو الحياة، ينبغى أن تتوفر لديه معتقدات ورغبات، وإدراك، وذاكرة، وإحساس بالمستقبل بما فى ذلك مستقبله الخاص به. وحياة انفعالية، ومشاعر، وألم، وسرور، واهتمام بالرفاهية، والقدرة على التصرف سعيًا وراء رغباته وأهدافه، إنه موجود سيكولوجى يتحقق مع مرور الوقت، ورفاهية فردية. بمعنى أن حياته الذاتية قد تنجح أو تخفق، ويتم ذلك بشكل مستقل عن منفعته للآخرين".

مبدأ الإيذاء The Harm Principle

"مبدأ الإيذاء"، والذى يعد واجبًا بديهيًا مؤداه عدم التعامل مع ممن يحمل "القيمة المتأصلة" بشكل يقلل من رفاهيتهم وما فى مصلحتهم، وهذا ما اتضح من عرضنا السابق لرؤية "ريجان" فى التعامل مع الحيوانات. لذا يؤمن "ريجان"

بالشعار التالى:" بأن لدينا واجبًا بديهيًا مباشرًا، بألا نؤذى الحيوانات". وفى ضوء ذلك يعتبر "ريجان" أن الكائنات أصحاب القيمة المتأصلة يملكون حقًا بديهيًا فى عدم إيذائهم ووجوب احترامهم؛ بيد أن ذلك ليس معناه ألا نؤذى الأفراد ذوى القيمة المتأصلة بشكل مطلق، فهناك حالات قد يسمح فيها "بالإيذاء" دون أن يمثل ذلك انتهاكًا للحقوق الأساسية، لأجل ذلك وضع ثلاث مبادىء رئيسة تبرر انتهاك الحقوق مثل: "مبدأ تجاهل الأدنى" ، و"مبدأ أسوأ الحالات"، و"مبدأ الحرية".

الهوامش:

(*) تعد الفلسفة البيئية إحدى فروع الفلسفة المختلفة المهتمة بدراسة الطبيعة المحيطة بالإنسان وعلاقتها به. وتشمل الفلسفة البيئية،الأخلاقيات البيئية وعلم الجمال البيئى، والإيكولوجية النسوية. أما عن الأخلاق البيئية: فهى تؤكد أنه يمكن أن يحصل تقدم فى إنهاء الازمات البيئية ومشكلاتها، وذلك عندما تقاوم مركزية الإنسان وتحد من سيطرته وسطوته فى مقابل الاهتمام بجميع الكائنات غير البشرية الاخرى التى توجد فى الطبيعة.

(Cp;https://ar.wikipedia.org/wiki/%E2%80%8C%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9_%D8%A8%D9%8A%D8%A6%D9%8A%D8%A9) تاريخ الدخول ٢٠٢١/٢/٢١م

(**) توم ريجان(١٩٣٨م ـ ٢٠١٧م): أستاذ الفلسفة بجامعة نورث كارولاينا ،ولد بولاية بنسلفانيا الأمريكية عام ، تخرج فى جامعة "ثيل" عام ١٩٦٠م ،ثم حصل على درجتى الماجستير والدكتوراه فيما بين العامى ١٩٦٢م ـ ١٩٦٦م من جامعة فرجينيا . ظهرت شهرته من خلال اهتماماته بحقوق الحيوان مما أثر تأثيرًا مباشرًا فى المحدثين المهتمين بحركة حقوق الحيوان ، وذلك من خلال رؤيته التى تساوى بين حقوق الانسان والحيوان. ومن بين مؤلفاته فى هذا الشأن :"قضية حقوق الحيوان The Case For Animal Rights" ، ويعد هذا الكتاب كتابًا رئيسًا ولا غنى عنه عند تناول الحديث عن حقوق الحيوان نظرًا لما يحويه من قضايا هامة تخص الحيوان . وكذلك كتابه " الأقفاص الفارغة ـ مواجهة تحدى حقوق الحيوان The Empty Cages:Facing The Challenge of Animal Rights (٢٠٠٤م).

(CP; https://regan.animalsvoice.com/tom-regan/about-tom-regan/curriculum-vitae/) تاريخ الدخول ٢٠٢٠/١١/١١م

(١) ديفيد ديجراتسا: حقوق الحيوان ـ مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: محمد سعد طنطاوى، مراجعة:ضياء وزَّاد ،ط١،مؤسسة هنداوى للنشر، القاهرة،٢٠١٤م، ص ١٥ .

(2)Peter Singer: Ethics and The New Animal Liberation Movement,(in); Peter Singer: defence of animals,Basil Blackwell, NewYork,1985,Pp 1-10.

(*) يختلف الباحث مع ما انتهى إليه أرسطو؛ فللحيوانات حقوق لأن لها أحاسيس وعواطف ووعى وليست بمنأى عن الإنسان، فهى تشعر بالألم وتتذكر وتحب وتكره وتعيش حياة

اجتماعية مثل جميع المجتمعات البشرية، وهذا ما أكده " مارك بيكوف (١٩٤٥م ـ ...) Bekoff,Marc" أستاذ على البيئة البيولوجيا بجامعة كولورادو الامريكية. إذ يلحظ أن الدببه تُظهر مشاعر التعاطف تجاه الآخرين ، أما الذئاب فتشارك الأصدقاء أحزانهم ، حتى الدودة الصغيرة تتخذ قرارات تساعدها على الاستمرار فى حياتها ، والخيول لها عاطفة قوية جدًا وتدمع عيونها أحيانًا.... كل هذه الدراسات قد أجبرت الكثير من العلماء إلى الاعتراف بأن لهذه الحيوانات عاطفة وذاكرة وإدراك ووعى وقدرة على التعلم، لذلك هى مجتمعات قائمة بذاتها .

-(Cp; http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-22-19-30/1796-2015-03-20-23-53-09) ٢٠٢١/٢/٢٢.

(**)ويظهر تعامل المسيحية مع الحيوانات فى الإنجيل من خلال الآتى : "يسمح الله للبشر بقتل الحيوانات لحماية أنفسهم أو صنع الثياب" (خروج٢١:٢٨)،(مرقص ١:٦) . كما أنه يجيز قتلها للحصول على الطعام " كل الحيونات الدابة تكون لكم طعاماً" (التكوين ٣:٩).

(3) Peter Singer: Unsanctifying Human life, Edited by: Helga Kusha, Black well, OxFord,2000,P.301-309.

(٤) ديفيد ديجراتسا: حقوق الحيوان، ص ١٥ .

(٥) المرجع نفسه : ص ١٦ .

(٦)المرجع نفسه : ص ١٥ .

(٧) المرجع نفسه : ص ١٦ .

(٨) المرجع نفسه : الصفحة نفسها .

(٩) المرجع نفسه : ص ١٧ .

(١٠) تشارلس داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسى ، ترجمة: مجدى محمود المليجى، مجلد:(١)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٥م ، ص ٢٠٦.

(١١) المصدر نفسه : ص ٢٠١ .

(*)إن مذهب المنفعة الأخلاقى عبارة عن ""مجموعة القواعد التى يسير بمقتضاها السلوك البشرى لتحقيق السعادة لأكبر عدد من الناس"، ويعد "جيرمى بنتام(١٧٤٨م ـ ١٨٣٢م) Bentham,J" رائد هذا الاتجاه الذى رأى أن السلوك القويم يتمثل فى تعظيم التوازن بين المتعة والألم فى نفوس أولئك الذين يتأثرون بأفعال المرء... ولقد شدد "بنتام" على أن مبدأ

النفعية يجب أن يأخذ فى الاعتبار الحيوانات الحساسة التى تستشعر المتعة والألم بصورة لا تقل عن البشر، بناء عليه انتقد بنتام بشدة إلحاق الألم بالحيوانات بصورة روتينية باعتباره من قبيل الطغيان الإنسانى.

-(Cp; Edward Westermark: Ethical Relstivity Kegan Paul, Trench, Trubner&Co, LTd, London,1932,P.7.)

- (انظر أيضًا؛ ديفيد ديجراتسا: حقوق الحيوان، ص ١٧) .

(١٢) بيتر سنجر: كل الحيوانات متساوية،(فى) مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية، ترجمة معين شفيق، عالم المعرفة، العدد٣٣٢، الكويت ، ٢٠٠٦م، ص ص ٦١ـ٦٢.

(*) Interests equal consideration.

(13) Peter Singer: Practical Ethics,2nd , Cambridge University Press, New York,1993.P.21.

(14) Peter Singer: Animal Liberation, Avon Books, New York,1990,P.9.

(١٥) بيتر سنجر : كل الحيوانات متساوية،ص ٦٣.

(16) https://www.utilitarian.net/singer/by/20061203.htm. (تاريخ الدخول ٢٠٢٠/٩/٢٠م)

(17) Tom Regan: The Case for animal Rights, Berkeley and los angeles, University of California Press,2004,P.193.

(18) Ibid,P.XXI.

(19) Ibid,P.152.

(20) Ibid,P.154.

(٢١) توم ريجان : حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان ،(فى) مايكل زيمرمان : الفلسفة البيئية ، ص ٧٣.

(٢٢) المصدر نفسه: ص ٧٣.

(٢٣) المصدر نفسه : ص ٧٥.

(24) Tom Regan: The Case for Animal Rights, Pp.175-177.

-(Cp also; Immanuel Kant, "Duties to Animals and Spirits," in Lectures on Ethics,Trans: Louis Infield, Harper and Row, New York,1963,Pp.239-241).

(٢٥) توم ريجان : حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان ،ص ٧٨.

(26) James M. Jasper, Dorothy Nelkin: The Animal Rights Crusade: The Growth of a Moral Protest, Toronto: The Free Press, 1992, P. 95.

(27) Tom Regan: The Case for Animal Rights, Pp.228-229.

(٢٨) توم ريجان : حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان ، ص ص ٨٠ – ٨١.

(٢٩) المصدر نفسه: ، ص ٨١.

(30) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P.328

(31) Ibid,P.343.

(32) Ibid,P.235.

(٣٣) توم ريجان : حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان ، ص٨٥.(بتصرف)

(*) تايلور: فيلسوف أمريكى، أُشتهر بكتابه:"احترام الطبيعة: نظرية فى أخلاقيات البيئة Respect of Nature:A Theory of Ethics Environment" (١٩٨٦م)، والذى يدعم فيه التمركز الحيوى Biocentric أى يعطى الأولوية لكافة الأفراد التى توجد فى الطبيعة بشكل متساوٍ وليس للإنسان فقط. فكل ما يوجد فى الطبيعة بمثابة نوع من أنواع القرابة Friendship بالنسبة لإنسان.

-(Cp; William Forbes: Paul W. Taylor,(In),https://www.britannica.com/biography/Paul-W-Taylor) تاريخ الدخول ٢٠٢١/٢/٢١م.

(34) Taylor Paul W: Respect for Nature: A Theory of Environmental Ethics, Princeton, Princeton University Press, 2011,P.75.

(35) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P.XVII.

(36) Ibid,Pp.175-177.

(37) Ibid,P.175.

(٣٨) ديفيد ديجراتسا: حقوق الحيوان، ص ٢٤.

(39) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P.236.

(٤٠) توم ريجان : حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان ، ص٨٦.

(41)Tom Regan: The Case for Animal Rights,Pp.235-236.

(42) Ibid,Pp.236-237.

(43) Ibid,P.238.

(44) Ibid,P.243.

(45) James Rachels in Tom Regan. All That Dwell Therein. Berkeley: University o f California Press, 1982, p.70.

(*) جويل فاينبرج: فيلسوفًا سياسيًا وقانونيًا أمريكيًا ، اشتهر بالعمل فى مجال: الأخلاق ، وفلسفة القانون ، والفلسفة السياسية ، وكذلك حقوق الفرد وسلطة الدولة. ومن أهم مؤلفاته : "الحدود الخلقية للقانون الجنائى The Moral Limits Of The Criminal Law" ، " حقوق الحيوانات وأجيال المستقبل The Rights of Animals and future Generations".

-(https://en.wikipedia.org/wiki/Joel_Feinberg)23/2/2021

(46)Joel Feinberg: The Rights of Animal,(In), David Schmidtz and Elizabeth(eds): Environmental Ethics:What Really Matters,What Really Works, Oxford University Press, New York,2002,P.54.

(47)Tom Regan: The Case for Animal Rights,P.248.

(48) Ibid,P.78.

(49) Ibid,P.327.

(50) Ibid,Pp.267-268.

(51) Ibid,P.153.

(52) Ibid,Pp.319-320.

(53) Ibid,Pp.XVI-XVII.

(٥٤) ديفيد ديجراتسا: حقوق الحيوان، ص ٥٠.

(55)Tom Regan: The Case for Animal Rights,Pp,31-32.

(٥٦) رينيه ديكارت: مقال عن المنهج لإحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة فى العلوم، ترجمة: محمود الخضيرى، تصدير:زينب الخضيرى، المكتب المصرى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٣٠م ،ص ١٢١.

(٥٧) المصدر نفسه : ص ١٢٢.

(58) Tom Regan: The Case for Animal Rights,P.32.

(*) تشير هذه الحجة إلى أن العديد من أنواع الحيوانات ينبغى اعتبارها، واعية وتحديدًا كل الحيوانات الثديية، وهذا ما تثبته نظرية التطور، من خلال تكيف بعض الكائنات الحية فى ظل سلوك معين قد يحدث . فعلى سبيل المثال إذا هاجم حيوانًا ما حيوانًا أخر أكثر منه قوة ، فعلى التو سيعلو بالصراخ طالبًا النجدة من الآخرين ... وهذا بمثابة نوع من الوعى . ;Cp)- .Tom Regan: The Case for Animal Rights,P.29)

(59) Ibid,P.28.

(٦٠) ديفيد ديجراتسا: حقوق الحيوان، ص ٥٢.

(٦١) المرجع نفسه : ص ٥٨.

(62) Peter Singer:Practical Ethics,1st ,Cambridge University Press, New York,1979,P61.

(*) نسباوم : فيلسوفة أمريكية ، لديها اهتمام خاص بالفلسفة اليونانية والرومانية القديمة، والفلسفة السياسية، والنسوية ، والأخلاقيات بما فى ذلك حقوق الحيوان. لها عديد من المؤلفات: "الجنس والعدالة الاجتماعية" (١٩٩٨م)، "حدود العدالة : العجز ، والجنسية ، وعنصرية الأنواع" (٢٠٠٦م).

(Cp;https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%AB%D8%A7_%D9%86%D9%88%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D9%88%D9%85).23/2/2021.

(63) Martha Nussbaum:Political Emotions-Why love matters for Justcs,The Belknap Press of Harvard University Press,U.S.A,2013,P.137.

(64) Tom Regan: The Case for Animal Rights,Pp,34-35.

(65) Ibid,Pp,80-81.

(66) Ibid,P.81.

(67) Ibid,P.116.

(68) K. Keerus1, M. Gjerris2 and H. Rocklinsberg3: More than harm: a critical analysis of the harm principle in Regan's thinking, ,(In);Helena Rocklinsberg, Per Sandin (eds): The Ethics of Consumption,Wageningen Academic,Netherlands,2013.,P.275.

(69) Ibid,P.275.

(70) Tom Regan: The Case for Animal Rights,Pp,90-91.

(71) Ibid,P.116.

(*) ريم إدوردز: أمريكى الأصل ، وأستاذ الفلسفة بجامعة تينيسى Tennessee . تنحصر اهتماماته الفلسفية فى مجال : القيم والأخلاق والدين. أشهر مؤلفاته: " تأملات فى علم الأحياء حول القيمة البشرية والإلهية اللانهائية Axiological Reflections On Infinite Human and Divine Worth" (٢٠١٩م)، حقوق الإجهاض: لماذا المحافظون مخطئون Abortion Rights: Why Conservatives Are Wrong?" (٢٠١٩م).

-(Cp; https://www.researchgate.net/profile/Rem-Edwards)تاريخ الدخول ٢٣/٢/٢٠٢١م.

(72) Rem Edwards: Tom Regan's Seafaring Dog and Un Equal Inherent Worth Between the Species,Vol.9,No.4,1993,P.232.

(73) Ibid,P.232.

(*)Mysterious Non-Natural Property Which We Must Take On Faith.

(74) Warren,Mary Anne: A Critique of Regan's Animal Rights Theory,(In); Louis P.Pojman(eds): In Environmental Ethics – Readings in Theory and Application, Belmont,Wadsworth,2005.P.74.
(75) Ibid,P.74.
(76) Tom Regan: The Case for Animal Rights,P.236.
(77) Thomas,E.Hill: Humanity as an End in Itself, Ethics,91,No.1,1980,P.91.
(78) Ibid,P.92.
(79) Ibid,P.92.
(80) Tom Regan: The Case for Animal Rights,P.319.
(81) Ibid,P.320.
(82) Ibid,Pp,246-247.
(83) Warren,Mary Anne: A Critique of Regan's Animal Rights Theory,P.76.

(*) ثمة نظريتان توضحان وظيفة الحقوق وهما: نظرية "الإرادة"، ونظرية "الاهتمام".

- نظرية الإرادة: تعد الحقوق طريقة لإعطاء أصحاب الحقوق السيطرة على واجبات الآخرين، ويكون للفرد الحق عندما يكون لدى الآخرين واجب بحماية اختيارات هذا الفرد . لذا من الضرورى والكافى لكى يحصل (X) على حق أن يكون ذا أهلية. وهذا ما يمثل عيب هذه النظرية لأنها تستبعد الأفراد غير القادرين على عمل الاختيارات مثل : فاقدى الوعى ، والرضع ، الحيوانات.
- نظرية الاهتمام أو الاهتمامات: تؤسس الحقوق بناءً على أصحاب المصالح أو حملة الحقوق والتى تجعلهم فى حالة أفضل، فيكون للفرد الحق عندما يكون لدى الآخرين واجبات تتمثل فى حماية اهتمامات هذا الفرد . وتشتمل هذه النظرية على المبادىء التالية : -١. من الضرورى ولكن غير كافٍ أن يحصل (X) على حق ما، أن يحافظ على هذا الحق ـ عندما يكون واقعيًا ـ على واحد أو أكثر من اهتمامات (X). ٢. أن يكون (X) مؤهلاً ومفوضًا سواء للمطالبة أم التنازل عن تنفيذ حق ما لا يعد كافيا ولا ضروريا كى يُمنح ذلك الحق.

-(Cp,Matthew Kramer:Rights Without Trimmings, (In),Simmonds,M and Steiner,H(eds): A Debate Over Rights 2000,Oxford University Press, Oxford,P.62).
-(Cp,George Rainbolt: Rights Theory, Philosophy Compass,(1),2006,P.4).

(٨٤) توم ريجان : حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان ، ص٨٩.

(85) Gary L, Francione: Introductionto Animal Rights-Your Child or the Dog?, Temple University Press,Philadelphia,2000,P.XXXIV.
(86) Ibid,P.55.
(87) Joseph Raz: On the Nature of Rights, Mind , Apr., 1984, New Series, Vol. 93, No. 370 (Apr., 1984), P.195,P.208.
(88) Ibid,Pp.199-200
(89) George Rainbolt: The Concept of Rights,Springer, Netherlands,2006,P.XI.
(90) Joseph Raz: On the Nature of Rights , P.200.
(91) Tom Regan: The Case for Animal Rights,P.318
(92) Ibid,Pp,272-273.
(93) Ibid,P.272.
(94) Ibid,P.276.
(95) Ibid,P.277.
(96) Ibid,P.248.
(97) Ibid,P.297.
(98) Ibid,P.280.
(99) Ibid.
(100) Tom Regan:The Case for animal Rights,(In); Peter Singer(ed): In Defense of Animals,Blackwell,New York,1985,P.13.
(101) Tom Regan: Empty Cages-Facing the Challenge of Animal Rights, Rowman&Littlefield Publishers, Inc, New York,2004,P.93.
(102) Ibid,P.94.
(103) Ibid,Pp,61-62.
(104) Tom Regan: Animal Rights-Human Wrongs: An Introduction to Moral Philosophy, Rowman&Littlefield Publishers, Inc, New York,2003,P.75.
(105) Ibid,P.8.
(106) Ibid,P.97.
(107) Carl Cohen; Tom Regan: The Animal Rights Debate, Rowman & Littlefield Publishers, New York,2001,P.5.
(108) Susan Finsen: Sinking the Research Lifeboat, *The Journal of Medicine and Philosophy: A Forum for Bioethics and Philosophy of Medicine*, Volume 13, Issue 2, May 1988,P.197.
(109) Aaltola,E: Animal Auffering-Philosophy and Culture,Palgrave Macmillan, New York,2012,P113.
(١١٠) ديفيد ديجراتسا: حقوق الحيوان، ص ١٠٧.

(*) يرفض الباحث كل الانشطة التى تسبب معاناة للحيوان أو تنتهك أى حق من حقوقه ، ويناشد جميع منظمات المجتمع المدنى ، والمؤسسات الحكومية، والتشريعية بضرورة تجريم مثل هذه الافعال المشينة ، وفرض نوع من العقاب القانونى تجاه مرتكبيها.

(111) Bernard Rollin: Putting the Horde Before the Cart-My Life's Work on Behalf of Animals,Temple University Press, Philadelphia,2011,P.88.

(112) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P.XXX.

(١١٣) ديفيد ديجراتسا: حقوق الحيوان، ص ص ١١٦-١١٧.

(114) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P.XXXI.

(115) Tom Regan: Animal Rights-Human Wrongs: An Introduction to Moral Philosophy,P.97.

(116) Ibid,P.397.

(117) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P.248.

(118) Ibid,P.187.

(119) Ibid,P.287.

(120) Ibid,Pp,290-293.

(121) Ibid,Pp,287-288.

(122) Larry Alexander:Deontology at the Threshold, University of San Diego Law Review,37,2000,P.894 .

(123) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P.305.

(124) Ibid.

(125) Ibid.Pp,30-307.

(126) Dale Jamieson: Rights,Justice,and Duties to Provied Assistance- A Critique of Regan's Theory of Animal Rights, Ethics, Vol. 100, No. 2 (Jan., 1990),P.349.

(127) Tom Regan: The Case for Animal Rights, Pp.302-303.

(128) Steven Davis: The Least Harm Principle May Require That Humans Consume a Diet Containing Large Herbivores, Not a Vegan Diet, Journal of Agricultural and Environmental Ethics,16,2003,P.357.

(129) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P,308.

(130) Ibid.P.302.

(131) Ibid.P.302.

(132) Ibid.P.309.

(133) Ibid.P.321.

(*) "special considerations aside".

(134) Ibid.P.321.

(135) Dale Jamieson: Rights,Justice,and Duties to Provied Assistance- A Critique of Regan's Theory of Animal Rights,P.361.

(136) Ibid.P.361.

(137) Ibid.P.361.

(138) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P,331.

(139) Ibid.P.324.

(140) Ibid.P.324.

(141) Ibid.P.325.

(142) Ibid.P.325.

(143) susan finsen: Sinking the Research Lifeboat, The Journal of Medicine and Philosophy,13,1988,P.197..

(144) Ibid.P.202.

(145) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P,XXXI.

(146) Dale Jamieson: Rights,Justice,and Duties to Provied Assistance- ,Pp.359-360.

(147) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P,XXXI.

(148) Ibid.P.XXXII.

(149) Susan Finsen: Sinking the Research Lifeboat,P.202..

(150) Tom Regan: The Case for Animal Rights, P,249.

(151) David Boonin: Robbing PETA to Spay Paul : Do Animal Rights Include Reproductive Rights? Between the Species,13,No.3,2003,Pp,1-2.

(152) Palmer C: Killing Animals In Animal Shelter, (In),S. Armstrong and R.Botzler: The Animal Ethics Reader,2nd,Routledge,New York,2008,P.576.

(153) Donaldson,S. and Kylmicka,W: Zoopolis-Political Theory of Animal Rights, Oxford University Press, Oxford, 2011,P.73.

(154) Levy,J and Crawford,C: Humane Strategies for Controlling Feral Cat Populations,Journal of The American Veterinary Medical Association,225,(9),2004,P.1357

(155) Tom Regan: Animal Rights-Human Wrongs,P.75.

(*) من بين هذه الأضرار على سبيل المثال لا الحصر: الألم ،والعدوى ، والنزيف المفرط مما قد يتسبب فى حالة تسمى ورم دموى فى كيس الصفن حيث يحدث تجمع وامتلاىء كيس الصفن بالدم ، فضلا عن حدوث زيادة فى أوزان القطط نتيجة لقلة الحركة ، وفقدان الشهية . وقد يحدث أحيانًا الإصابة بالسرطان.

-(Cp; https://dr-paws.com/%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B9%D9%82%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B7%D8%B7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D9%85%D8%B9/)26/2/2021.

(156) Pierce,L:Run,Spot,Run-The Ethics of Keeping Pets, The University of Chicago Press,Chicago,2016,P.158.

(157) David Fraser:animal ethics and animal welfare science-bridging the two cultures,Applied Animal Behaviour Science,65,1999,P.174.

(158) Ibid.Pp,174-175.

(159) Ibid.P.175.

قائمة المصادر والمراجع.

(أولاً): المصادر الأصلية لـ "توم ريجان " :

1. Tom Regan: Animal Rights-Human Wrongs: An Introduction to Moral Philosophy, Rowman&Littlefield Publishers, Inc, New York,2003.

2._____: Empty Cages-Facing the Challenge of Animal Rights, Rowman&Littlefield Publishers, Inc, New York,2004.

3._____ : The Case for animal Rights, Berkeley and los angeles, University of California Press,2004.

4._____ :The Case for animal Rights,(In); Peter Singer(ed): In Defense of Animals,Blackwell,New York,1985.

5.Tom Regan ,Carl Cohen(eds): The Animal Rights Debate, Rowman & Littlefield Publishers, New York,2001.

(ثانيًا): مصادر فلسفية عامة:

1. Immanuel Kant, "Duties to Animals and Spirits," in Lectures on Ethics,Trans: Louis Infield, Harper and Row, New York,1963.

2. Peter Singer: Animal Liberation, Avon Books, New York,1990.

3. ._____ : Ethics and The New Animal Liberation Movement,(in); Peter Singer: defence of animals,Basil Blackwell, NewYork,1985.

4. ._____ :Practical Ethics,1st ,Cambridge University Press, New York,1979.

5. ._____ : Practical Ethics,2nd , Cambridge University Press, New York,1993

6. ._____ : Unsanctifying Human life, Edited by: Helga Kusha, Black well, OxFord,2000.

(ثالثًا): مراجع أجنبية:

1.Aaltola,E: Animal Auffering-Philosophy and Culture,Palgrave Macmillan, New York,2012.

2.Bernard Rollin: Putting the Horde Before the Cart-My Life's Work on Behalf of Animals,Temple University Press, Philadelphia,2011.

3.Edward Westermark: Ethical Relstivity Kegan Paul, Trench, Trubner&Co, LTd, London,1932.

4.Dale Jamieson: Rights,Justice,and Duties to Provied Assistance- A Critique of Regan's Theory of Animal Rights, Ethics, Vol. 100, No. 2 (Jan., 1990).

5.David Boonin: Robbing PETA to Spay Paul : Do Animal Rights Include Reproductive Rights? Between the Species,13,No.3,2003.

6.David Fraser:animal Ethics and Animal Welfare Science-Bridging the Two Cultures,Applied Animal Behaviour Science,65,1999.

7.Donaldson,S. and Kylmicka,W: Zoopolis-Political Theory of Animal Rights, Oxford University Press, Oxford, 2011.

8.Gary L, Francione: Introductionto Animal Rights-Your Child or the Dog?, Temple University Press,Philadelphia,2000.

9.George Rainbolt: Rights Theory, Philosophy Compass,(1),2006.

10.George Rainbolt: The Concept of Rights,Springer, Netherlands,2006.

11.James M. Jasper, Dorothy Nelkin: The Animal Rights Crusade: The Growth of a Moral Protest, Toronto: The Free Press, 1992.

12.James Rachels in Tom Regan. All That Dwell Therein. Berkeley: University of California Press, 1982.

13.Joel Feinberg: The Rights of Animal,(In), David Schmidtz and Elizabeth(eds): Environmental Ethics:What Really Matters? ,What Really Works? Oxford University Press, New York,2002.

14.Joseph Raz: On the Nature of Rights, Mind , Apr., 1984, New Series, Vol. 93, No. 370 (Apr., 1984).

15. K. Keerus, M. Gjerris and H. Rocklinsberg : More than Harm : a Critical Analysis of the Harm Principle in Regan's Thinking, (In); Helena Rocklinsberg, Per Sandin (eds) :The Ethics of Consumption, Wageningen Academic,Netherlands,2013.

16.Martha Nussbaum: Political Emotions-Why love matters for Justice, The Belknap Press of Harvard University Press,U.S.A,2013.

17.Matthew Kramer:Rights Without Trimmings, (In),Simmonds,M and Steiner,H(eds): A Debate Over Rights,Oxford University Press, Oxford, 2000.

18.Larry Alexander:Deontology at the Threshold, University of San Diego Law Review,37,2000.

19.Levy,J and Crawford,C: Humane Strategies for Controlling Feral Cat Populations,Journal of The American Veterinary Medical Association,225,(9),2004.

20. Palmer C: Killing Animals In Animal Shelter, (In),S. Armstrong and R.Botzler: The Animal Ethics Reader,2nd,Routledge,New York,2008.

21.Pierce,L:Run,Spot,Run-The Ethics of Keeping Pets, The University of Chicago Press,Chicago,2016.

22.Rem Edwards: Tom Regan's Seafaring Dog and Un Equal Inherent Worth Between the Species,Vol.9,No.4,1993.

23.Steven Davis: The Least Harm Principle May Require That Humans Consume a Diet Containing Large Herbivores, Not a Vegan Diet, Journal of Agricultural and Environmental Ethics,16,2003

24.Susan Finsen: Sinking the Research Lifeboat, *The Journal of Medicine and Philosophy: A Forum for Bioethics and Philosophy of Medicine*, Volume 13, Issue 2, May 1988.

25.Taylor Paul W: Respect for Nature: A Theory of Environmental Ethics, Princeton, Princeton University Press, 2011.

26.Thomas,E.Hill: Humanity as an End in Itself, Ethics,91,No.1,1980.

27.Warren,Mary Anne: A Critique of Regan's Animal Rights Theory,(In); Louis P.Pojman(eds): In Environmental Ethics – Readings in Theory and Application, Belmont,Wadsworth,2005.

(رابعًا): مصادر أجنبية مترجمة لـ "توم ريجان":

١.توم ريجان : حقوق الحيوان وأخطاء الإنسان ،(فى) مايكل زيمرمان : الفلسفة البيئية، ترجمة معين شفيق، عالم المعرفة، العدد٣٣٢، الكويت ، ٢٠٠٦م.

(خامسًا): مصادر أجنبية عامة مترجمة :

١.بيتر سنجر: كل الحيوانات متساوية،(فى) مايكل زيمرمان: الفلسفة البيئية، ترجمة معين شفيق، عالم المعرفة، العدد٣٣٢، الكويت ، ٢٠٠٦م.

٢.تشارلس داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسى ، ترجمة: مجدى محمود المليجى، مجلد:(١)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،٢٠٠٥م.

٣.رينيه ديكارت: مقال عن المنهج لإحكام قيادة العقل والبحث عن الحقيقة فى العلوم، ترجمة: محمود الخضيرى، تصدير:زينب الخضيرى، المكتب المصرى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٣٠م.

٤.ديفيد ديجراتسا: حقوق الحيوان ـ مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: محمد سعد طنطاوى، مراجعة:ضياء ورَّاد،ط١،مؤسسة هنداوى للنشر، القاهرة،٢٠١٤م.

The Inherent Value Of Animal Rights In Tom Regan's Philosophy

Between "Principle of Respect" and "Principle of Harm"

An analytical Critical Study

Abstract

Reagan is considered one of the most important philosophers of ecology, with the various ecosystems that contain animals, plants, etc. but uniquely and well-known, he is concerned with rights of animals by emphasizing that they possess an "inherent value" such as humans, which makes it imperative that human beings should respect and not harm them by exploiting them to achieve their benefits only.

Hence his calling for the complete abolition of animal exploitation, whether commercial or agricultural, including: the use of animals in scientific research.

But did Reagan continue, consistent with his basic principles, which call for the non-exploitation of animals, until the end of his philosophical career? Or is he deviating from his basic principles, especially when he discusses the idea of violating rights through the principle of harm?